المناسبات بين السور والآيات
دراسة تطبيقية على سور المسبحات

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٧/٣٣٢٩)

خربيط، صلاح صبار
المناسبات بين السور والآيات دراسة تطبيقية على سور المسبحات/ صلاح صبار خربيط:- عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع٢٠١٦
( ) ص
ر. ا. : (٢٠١٦/٧/٣٣٢٩)
الواصفات: القرآن الكريم// سورة القرآن
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

Copyright ®
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-96-252-4

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و خلاف ذلك إلا بموافقة على هذا كتابة مقدماً.

دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمّان 11152 الأردن
www.darghaidaa.com

مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلـــوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com
E-mail: info@darghaidaa.com

المناسبات بين السور والآيات

دراسة تطبيقية على سور المسبحات

تأليف

د.صلاح صبار خربيط

الطبعة الأولى

٢٠١٧م – ١٤٣٨ هـ

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ

مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾

صدق الله العظيم

سورة هود اية ١

الإهداء

إلى روح والديَّ... اللذين كانا سبباً في وجودي، وجزاهما الله عني خير ما جزى والدين عن ولدهما

إلى روح أخي الذي روّى بدمه الغالي ثرى هذا الوطن، أخوةً ووفاءً

إلى من عمل وساهم في تربيتي وتعليمي : معلميّ وأساتذتي وشيوخي

إلى حفاظ القرآن الكريم، العاملين على تحكيمه.

اليكم جميعاً اهدي حصاد سفري.

الفهرس

المقدمة ١٣

الفصل الأول

مفهوم المناسبة ونشأتها وانواعها

المبحث الأول: تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً..... ٢١
المبحث الثاني: النشأة والتطور..... ٢٤
المبحث الثالث : أنواع المناسبات..... ٣٦
النوع الأول : المناسبات بين السور ٣٦
النوع الثاني : المناسبات بين الآيات القرآنية. ٣٩
أقسام الآيات القرآنية من حيث ارتباطها وانواع الروابط ٣٩
القسم الأول : آيات مكملة لما قبلها ٤١
أ. تعليق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالآية الاولى ٤١
ب. ان ترتبط الآية الثانية بالآية الاولى على سبيل : ٤١
١. التاكيد ٤١
٢. التفسير ٤٢
٣. الاعتراض ٤٢
٤. التعليل ٤٣
٥. التمثيل ٤٤
القسم الثاني: آيات مستقلة عن الآيات السابقة عليها ويتضمن: ٤٥
أ. المعطوفة على ما قبلها (المزج اللفظي) ٤٥
ب. غير المعطوفة على ما قبلها (المزج المعنوي) واسبابه: ٤٧
١. التنظير ٤٧
٢. المضاده ٤٨
٣. الاستطراد ٤٩
٤. التخلص ٥٠
المبحث الرابع: أهمية المناسبة وأقوال العلماء فيها. ٥٣
المبحث الخامس: فوائد المناسبة. ٥٨
المبحث السادس: علم المناسبة بين المؤيدين والمعارضين. ٦٢
المبحث السابع: أثر المناسبة في الترجيح بين المعاني..... ٧٠
المبحث الثامن : المناسبه وجه من وجوه الإعجاز. ٧٩
المبحث التاسع : ترتيب الآيات والسور وآراء العلماء فيها ٨٦

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية على مستوى السورة الواحدة)

تمهيد ٩٥
المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لمضمونها من خلال: ٩٦
العلاقة بين اسم السورة وحدث مذكور فيها. ٩٦
العلاقة بين السوره وأسمها عبر الآية الأولى. ١٠٠
العلاقة بين أسم السورة ومقاصدها. ١٠٤
المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها. ١١٠
المبحث الثالث: مناسبة آيات السورة بعضها لبعض ومن هذه المناسبة: ١١٦
تكرار الفاصلة الواحدة. ١١٧
الإجمال والتفصيل. ١٢٣
علاقة التضاد. ١٢٦

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية على مستوى أكثر من سوره

تمهيد ١٣٥
المبحث الأول: مناسبة فواتح أكثر من سوره..... ١٣٦
المبحث الثاني: مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما تليها. ١٤٠
المبحث الثالث: مناسبة سوره بأكملها لسورة أخرى. ١٤٨
المبحث الرابع: مناسبة القصة الواحدة في أكثر من سوره. ١٥٩
المبحث الخامس: مناسبة الإجمال والتفصيل بين الآيات في أكثر من سورة. ... ١٦٧
الخاتمة ١٧٣
المصادر والمراجع ١٧٧

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كان ولا يزال كتاب الأمة الخالد ودستورها الفريد، منه تستمد أخلاقها وتشريعاتها، ومنه تجد طمأنينتها وملاذها، وبفضله أزدهرت علومها ومعارفها، فترسخت علوم اللغة العربية بفروعها كافة، وقامت على أساسه علوم القرآن بكل فنونها، ونما في أحضانه علم الأصول والفقه وغيرهما.

إن عظمة القرآن وخلوده تتجلى أساساً في بيانه المعجز وإعجازه البين، فإن من إعجازه أن يظل معيناً تتوارد عليه الاجيال جيلاً بعد جيل ثم يظل أبداً –رحب المدى سخي المورد، لذلك فإن ما أشتمل من الإعجاز ليقوم حجة قاطعة، ومعجزة ساطعة على بني الإنسان، وكلما تقدم الإنسان في العلم المادي وتعمق في البحث العلمي، تكشفت له من وجوه إعجازه ما يخرس الممترين، ومن ساطع براهينه ما يثمر الطمأنينة ويعزّز اليقين.

فالدراسات القرآنية تستمر وتتجدد بتجدد الزمان، والعلوم القرآنية بحار لا ساحل لها عميقة لا قاع لها، ولذلك يتسابق إليها العلماء والباحثون –كلٌ يأمل أن يكون من أهل القرآن وخاصته –ويفتح الله على من يشاء.

وفي مقدمة هذه الدراسات، ذلكم الشأن الرفيع إعجاز القرآن، دليل صدق سيد المرسلين ع.

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم، تناسب سوره التي تتفاوت طولاً وقصراً، وإن قصيرها نزل قبل طويلها، وإن بعض ما نزل منها أولاً وضع في الترتيب آخراً، ومع ذلك كانت مترابطة ومتناسبة، وكذلك تناسب الآيات القرآنية في سورها –وهي تنتقل بقارئها من فن إلى فن، ومن موضوع إلى آخر –وتناسقها وحسن رصفها وإحكام بنائها، كعقد أحكمت حباته غاية الإحكام.

وأنا أدرس كتاب الله عز وجل، كانت تطلعاتي أن أتناول موضوع النظم القرآني، في بحث أقف من خلاله على جوانب مختلفة تكشف لي عن سرَّ إعجاز القرآن الكريم في ترتيب سوره وآياته، وقد تعززت هذه الرغبة حتى غدت مطلباً، فتقدمت إلى اللجنة العلمية في كلية الآداب بالجامعة الإسلامية، برغبتي في كتابة موضوع –المناسبات بين السور والآيات- فتفضلوا عليَّ بقبول الموضوع فجزاهم الله خير الجزاء.

في حين كانت كتابات الطلاب في جامعتنا تتناول التفسير الموضوعي بنوعيه، وهو الموضوع الغالب على الرسائل والأطاريح حتى في الجامعات العراقية الأخرى، على الرغم من أن هناك علوماً أخرى ذات أهمية كبيرة في التفسير وتستحق الدراسة ولم يقبل عليها الدارسون بحثاً ودراسة.

ولم أقف على دراسة مستقلة وشاملة لموضوع علم المناسبات بين السور والآيات نظرية وتطبيقية، ومن الدراسات التي وقفت عندها في هذا الفن هي:

١. دراسة للدكتور محمد القاسم، التي نال بها درجة الدكتوراه عام (١٩٧١م)- من جامعة الأزهر بعنوان (الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره) فكانت الدراسة نظرية تحدث فيها عن تاريخ علم المناسبات، وترتيب القرآن الكريم، وأنواع المناسبات وتحدث عن الشبهات الواردة على ترتيب القرآن الكريم ورد عليها وناقشها جزاه الله خيراً.
٢. دراسة الدكتور أنس عبد العليم السعدي – التي نال بها درجة الدكتوراه عام (١٩٩٨م)- من كلية الشريعة جامعة بغداد، بعنوان (وجوه التناسب بين سور القرآن الكريم) فكانت الدراسة تطبيقية على تناسب سور القرآن الكريم، فتحدث في الدراسة عن مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، ومناسبة فاتحة السوره لخاتمتها، فجزاه الله خيراً.
٣. دراسة الطالب علي عبد الله علي علاّن –التي نال بها درجة الماجستير عام (١٩٩٩م)- من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، بعنوان (منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء) فكانت هذه الدراسة لوضع منهج لدراسة الآيات القرآنية في السورة الواحدة، وطبق المنهج على

سورة الإسراء، فتناولت الدراسة أنواع الروابط بين الآيات القرآنية، وهي نوع من أنواع المناسبات.

إما دراستي لموضوع المناسبات وتتناول المناسبة بنوعيها. المناسبة بين السور والمناسبة بين الآيات، وأقوم بتطبيق النوعين على سور المسبحات، إذ لم أدع نوعاً من هذه الأنواع التي عدّها العلماء من أنواع المناسبة أو أشاروا إليها في مصنفاتهم إلا وقمت بتطبيقه على هذه السور.

وهذه الدراسة تهدف إلى بيان المناسبة بين الآيات على مستوى السورة الواحدة، بين أسمها ومضمونها ومقاصدها، ومناسبة الفواصل، وكذلك المناسبة على مستوى أكثر من سورة، مناسبتها من حيث الفواتح، ومناسبة الترتيب، ومناسبة القصة الواحده، والإجمال والتفصيل.

واقتضت طبيعة هذه الرسالة أن تقسَّم على مقدمة وثلاثة فصول:

أما المقدمة فتتناولت فيها سبب اختيار الموضوع والهدف من دراستها والمنهج الذي تسير عليه والخطوط العامة التي تتضمنها.

أما الفصل الأول: جاء على تسع مباحث :

المبحث الأول: تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: النشأة والتطور.

المبحث الثالث: أنواع المناسبات.

المبحث الرابع: أهمية المناسبة وأقوال العلماء فيها.

المبحث الخامس: فوائد المناسبة.

المبحث السادس: علم المناسبة بين المؤيدين والمعارضين.

المبحث السابع: أثر المناسبة في الترجيح بين المعاني.

المبحث الثامن : المناسبه وجه من وجوه الإعجاز.

المبحث التاسع : ترتيب آيات القرآن الكريم والسوروآراء العلماء فيها.

- أما الفصل الثاني: (دراسة تطبيقية على مستوى السورة الواحدة) فجاء على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ذكرت فيه مناسبة اسم السورة لمضمونها من خلال:

- العلاقة بين اسم السورة وحدث مذكور فيها.

- العلاقة بين السوره واسمها عبر الآية الأولى.
- العلاقة بين اسم السورة ومقاصدها.

المبحث الثاني: ذكرت فيه مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

المبحث الثالث: ذكرت فيه مناسبة آيات السورة بعضها لبعض ومنها:

- الإجمال والتفصيل.
- علاقة التضاد.
- تكرار الفاصلة الواحدة.

- أما الفصل الثالث: فقد وضحت فيه دراسة تطبيقية على مستوى أكثر من سورة، فجاء على خمسة مباحث:

المبحث الأول: وضحّت فيه مناسبة فواتح أكثر من سوره.

المبحث الثاني: وضحّت فيه مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما تليها.

المبحث الثالث: وضحّت فيه مناسبة سوره بأكملها لسورة أخرى.

المبحث الرابع: وضحّت فيه مناسبة القصة الواحدة في أكثر من سوره.

المبحث الخامس: وضحّت فيه مناسبة الإجمال والتفصيل بين الآيات في أكثر من سورة.

وقد اعتمدت على كتب التفسير وعلوم القرآن واللغة والاعجاز والتعبير القرآني في هذه الدراسة.

ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة التي تشمل على أهم النتائج التي توصلت اليها هذه الدرسة في فصولها المختلفة، ثم تعقب ذلك كله قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها في هذه الدراسة في تناول هذا الموضوع.

وبعد فهذه رسالتي أرجو أن تنال القبول ولا أدعي فيها الكمال، ولا أريد أن أسرد ما كابدته تجاه الموضوع لأنني أؤمن بوجوبها على كل باحث يسلك هذا المسلك الشريف لكتاب الله تعالى، وإن كنت اصبت فهو فضل من لدن حكيم حميد، وإن كانت الأخرى فحسبي أني قد اجتهدت وحاولت، وسبحان من له الكمال وحده عليه توكلت وإليه أنيب، وعليه سبحانه وتعالى قصد السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول
مفهوم المناسبة ونشأتها وانواعها

المبحث الأول: تعريف المناسبة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: النشأة والتطور.

المبحث الثالث: أنواع المناسبات.

المبحث الرابع: أهمية المناسبة وأقوال العلماء فيها.

المبحث الخامس: فوائد المناسبة.

المبحث السادس: علم المناسبة بين المؤيدين والمعارضين.

المبحث السابع: أثر المناسبة في الترجيح بين المعاني.

المبحث الثامن: المناسبه وجه من وجوه الإعجاز.

المبحث التاسع: ترتيب آيات القرآن الكريم والسور وآراء العلماء فيه

المبحث الأول
تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً

المناسبة في اللغة:

قال ابن فارس[1]: (النون والسين والباء، كلمة واحدة قياسها اتصالُ شيء بشيء، ومنه النسب سُمّي لاتصاله وللأتصال به، تقول نَسبتُ فلاناً أنسبهُ وهو نسيبُ فلانٍ)[2].

والنسب: القرابة[3]، والنسابة العالمُ بالنّسب، ويقال بينَ الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل[4].

المناسبة في الاصطلاح:

يقول الإمام البقاعي[5] – رحمه الله-: علم المناسبات: (علم تُعرف منه علل[6] الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني اللغوي، أصله من قزوين، ثم أقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الريّ، من أئمة اللغة والأدب، وكان فقيهاً شافعياً ثم مالكياً، من كتبه (معجم مقاييس اللغة) و(سيرة النبي ع) و(أخلاق النبي ع)، توفي سنة (٣٩٥ هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص١٥)، طبقات المفسرين للداودي (٥٩/١)، الأعلام للزركلي (١٩٣/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤٢٣/٥- ٤٢٤)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٩٧٩م.

(٣)ينظر: الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ) (٢٢٤/١)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا (ط٣ دار الملايين بيروت ١٩٨٤)، لسان العرب، ابن منظور (٧٥٥/١)، دار صادر، ط١٩٦٨.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، (١٣١/١، ١٣٢)، دار الحديث، تاج العروس، الزبيدي (٢٦٥/٤)، مراجعة/ إبراهيم السامرائي، مطبعة الكويت، ١٩٦٧، المعجم الوسيط (٩١٦/٢)، تأليف لجنة في مجمع اللغة العربية، القاهرة.

(٥) هو الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الروياط بن علي البقاعي مؤرخ أديب من بقاع الشام، ثم سكن دمشق، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، توفي بدمشق، من مصنفاته (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران) و(عنوان العنوان)، من شيوخه ابن حجر، توفي سنة ٨٨٥ هـ، ينظر: طبقات المفسرين الأدنه روي (ص٣٤٧)، معجم المفسرين، نويهض (١٧/١)، والأعلام (٥٦/١)، البدر الطالع، للشوكاني (١٩/١).

(٦) قال صاحب تاج العروس: هذا علة لهذا أي سبب له، وفي حديث عائشة رضي الله عنها (فكان عبد الرحمن يضرب برجلي بعلة الراحلة، أي بسببها) ٣٢/٨.والحديث أخرجه الامام مسلم برقم (١٢١١) (٨٨٠/٢).
والعلة يقرب معناها من معنى السبب في اللغة (والسبب في اللغة الحبل وما يتوصل به إلى غيره، وقيل هو ما يكون طريقاً ومفضياً إلى الشيء مطلقاً، وهذا المعنى يشمل العلة والسبب)، الكليات، أبو البقاء (٢٠/٣).

الأطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما أقتضاه من الحال)[١].

ويتضح لنا من قول الإمام البقاعي: (علم تعرف منه علل الترتيب)، أن هذا العلم على قسمين، فهو علم يعرف به علل ترتيب آيات القرآن الكريم، وعلل ترتيب سورة وعلاقات ترابطها وكوامن تناسقها.

ولعل هذا التعريف يحتاج إلى الوقوف عنده:

١- فأما علل الترتيب فقد أشار إليها العلماء ضمن علاقات العموم أو الخصوص (أو التلازم الذهني كالسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه أو التلازم الخارجي، كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر)[٢].

٢- أما مطابقة المعاني لما أقتضاه الحال، فتدخل فيه جميع الفنون البلاغية لأنها هي البلاغة، والتعبير القرآني: (تعبير فني مقصود كلُّ لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله)[٣].

حيث إنَّ (ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للأعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له. فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب. وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم)[٤].

وبمقتضى هذا المعنى نلحظ ان تعريف المناسبة بمطابقة المقال لما اقتضاه الحال هو نظرية النظم القرآني عند عبد القاهر الجرجاني [٥]، وتعني مجيئه مناسباً للظرف الذي يقال فيه.

ومن الفرق بينهما: (أن السبب ما يحصل الشيء عنده لا به، والعلة ما يحصل به، والسبب والعلة يطلقان على معنى واحد) المرجع السابق (٣/٢١- ٢٢).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (١/٥)، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧- ٢٠٠٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي (١/٣٦)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعرفة بيروت- لبنان، ط١.

(٣) التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي(ص ١٢) طبعة جامعة بغداد، دار الحكمة، ١٩٨٦م.

(٤) الايضاح. للخطيب جلال الدين القزويني (ص٩)، تحقيق جماعة من علماء الأزهر الشريف القاهرة، ينظر: التلخيص في علوم البلاغة للخطيب جلال الدين القزويني (٣٣- ٣٥)، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ط٢، القاهرة ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م.

(٥) هو ابو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، واضع اصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق وتصانيف منها (اسرار البلاغه)، (دلائل الاعجاز)، (المغني في شرح الإيضاح)، إعجاز القرآن)، توفي سنة (٤٧١ هـ). الاعلام للزركلي (٥٣٩/٢)، معجم الادباء لياقوت الحموي (١٤/١٤-١٦)، بغية الوعاة للسيوطي (١٠٦/٢).

المبحث الثاني
النشأة والتطور

لم تذكر لنا كتب التأريخ، وكتب علوم القرآن خبراً عن نشأة علم المناسبات القرآنية قبل الشيخ أبو بكر النيسابوري والذي تعد الترجمة له وتاريخ وفاته فيها نظر[١].

حيث عرفت بداياته في بغداد على يد النيسابوري، وفي ذلك يقول أبو الحسن الشهراباني[٢]:

(أول من أظهر ببغداد علم المناسبة –ولم نكن سمعناه من غيره- هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئت عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة)[٣].

فمن خلال النص المتقدم لكلام أبي الحسن الشهراباني والذي ينقله الزركشي[٤] في برهانه يمكن لنا تصحيح ما تعارف الدارسون عليه من أخطاء في تاريخ هذا العلم وبدايات ظهوره، من خلال الملاحظات الآتية:

الملاحظة الأولى:

---

(١) أثبت ذلك الدكتور عبد الحكيم أنيس ذلك في بحثه: أضواء على ظهور علم المناسبة مجلة الأحمدية، دبي، العدد/١١، السنة/ ٢٠٠٠م.

(٢) هو علي بن أبي بكر محمد بن محمد بن محمد بن وضاح بن أبي سعد محمد بن وضاح الشهراباني ثم البغدادي، ولد في شهرابان في رجب سنة ٥٩١ هـ، وقيل: سنة ٥٩٠، عُنيَ بالرواية، وسمع الكثير، وبرع في العربية وفي المذهب الحنبلي، وشارك في فنون العلم، من شيوخه محمد بن نجم المروزي سمع منه (صحيح مسلم) من مؤلفاته (الرد على أهل الالحاد) و(الدليل الواضح) توفي سنة ٦٧٢ هـ)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٨٦/١٧)، المقصد الأرشد لابن مفلح (٢٦١/٢)، شذرات الذهب لابن العماد (٥٨٧/٧).

(٣) البرهان، للزركشي(١ /٣٦)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل- بيروت.

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي تركي الأصل، مصري المولد، فقيه أصولي محدث، شافعي المذهب، له تصانيف كثيرة منها: (لقطة العجلان) و(التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح) و(البرهان في علوم القرآن) توفي سنة (٧٩٤هـ)، شذرات الذهب لابن العماد (٥٧٢/٨)، معجم المؤلفين لكحالة (١٢١/٩)، الدرر الكامنة لابن حجر (٣٩٧/٣- ٣٩٨)، حسن المحاضرة للسيوطي (١٨٥/١- ١٨٦).

إن الترجمة للإمام أبي بكر النيسابوري على أنه متوفى سنة (٣٢٤) غير صحيحة، لأن الكلام ينقله الشيخ أبو الحسن الشهراباني معاصرُ الإمام النيسابوري، وقد تبين أنه متوفى (ليلة الجمعة ثالث من صفر سنة ٦٧٢هـ)[١].

(وعبارة الشيخ الشهراباني تبدو واضحة حيث يقول: (أول من أظهر ببغداد) ولم يقل سبق إلى هذا العلم، وكلمة بغداد تحديداً تحتمل أن هذا العلم قد ظهر في مكان آخر في المشرق والمغرب)[٢].

فبعد معرفة تاريخ وفاة الشيخ أبي الحسن الشهراباني (ت ٦٧٢هـ)، وهو الذي ينقل كلام الإمام النيسابوري ومعاصرٌ له أصبح واضحاً الخطأ الذي وقع فيه الدارسون في تاريخ هذا العلم.

وهذا ما أثبته الدكتور عبد الحكيم أنيس بعد أن أعتمد المراجع والمصادر التي ترجم منها للشيخ أبي الحسن الشهراباني، وقد عزا السبب إلى محققي كتاب البرهان للزركشي والاتقان للسيوطي وكذلك تصرف الإمام السيوطي[٣] في عبارة الشهراباني، وهو يتحدث عن علم مناسبات السور والآيات إذ قال: (قال ابن العربي.... وقال غيره: أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري)[٤] قد تم حذف الشيخ أبو الحسن الشهراباني في قوله: (وقال غيره) مما يوهم أيضاً في تاريخ هذا العلم وبداية ظهوره.

والراجح –كما يبدو لي- والله أعلم هو ما ذهب إليه الدكتور عبد الحكيم الأنيس –من أن الإمام أبا بكر النيسابوري ليس هو السابق لهذا العلم، وليس هو المترجم له على أنه المتوفى سنة (٣٢٤هـ)، لدى كل الدارسين، والكتب التي تُعنْى بعلوم القرآن، ولاسيما بعد مراجعتي للكتب التي اعتمدها في بحثه والمراجع التي ترجم منها للشيخ أبو الحسن الشهراباني[٥].

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب(٢/ ٢٨٤)، تحقيق: حامد الفقي، مصورة دار المعرفة، بيروت.

(٢) أضواء على ظهور علم المناسبة، د.عبد الحكيم أنيس، مجلة الأحمدية، دار البحوث الإسلامية، دبي، العدد/١١، سنة ٢٠٠٢م.

(٣) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي الشافعي المسند المحقق المدقق، ولد سنة (٨٤٩ هـ)، توفي والده وله من العمر خمس سنوات، حفظ القرآن وله من العمر ما دون ثمان سنين، وحضر مجالس العلم ورحل إلى البلاد وأخذ يدرس ويفتي وانقطع عن ذلك لما بلغ الأربعين وتفرغ للعبادة والتصنيف، توفي سنة (٩١١ هـ)، طبقات المفسرين، الأدنة ودي (ص٣٦٥)، شذرات الذهب (٧١٤/١٠).

(٤) الاتقان، السيوطي(٢١١/٢)، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٣.

(٥) حيث ترجم (للشيخ أبو الحسن الشهراباني) واعتمد على (٢٤) مرجعاً في هذا الترجمة، ينظر: أضواء على ظهور علم المناسبة (ص٣٢).

الملاحظة الثانية:

إن الإمام البقاعي (ت ٨٨٥هـ) قد صرح بقدم علم المناسبة القرآنية وانتشاره بين الصحابة والتابعين واعتمادهم إياه في فهم آي الكتاب الحكيم فقال: (وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، وصار حد الغرابة كغيره من الفنون)[١].

والذي يؤكد كلام الإمام البقاعي أن علم المناسبات بدأ شذرات على لسان السلف يستأنسون بها في تفسير القرآن ولاسيما في اجتهاداتهم وحواراتهم. قصة فاطمة بنت قيس[٢] ومخالفتها لبعض الصحابة في آيات الطلاق في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾[٣].

ظاهر الآية أنها عامة في كل طلاق رجعي أو غير رجعي، وبذلك أخذ جماعة من الصحابة في مقدمتهم عمر بن الخطاب –رضي الله عنهم أجمعين- (وخالفت فاطمة بنت قيس وبعض الصحابة، وقالوا هي في الطلاق غير الرجعي، واستدلت بقوله تعالى: ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ وقالت: أي أمر يحدث بعد الثلاث)[٤].

فكلام الإمام البقاعي وحادثة فاطمة بنت قيس دليل على قِدم هذا العلم وبداياته كانت في جيل الصحابة واعتمادهم إياه لفهم القرآن الكريم.

ونسير مع بدايات هذا العلم لنقف على نشأته وتاريخ استقلاله كعلم من علوم القرآن الكريم، فبعد أن كان معتمداً بين جيل الصحابة رضي الله عنهم. أعتمده العلماء في تفاسيرهم (ولما صنّف أئمة التفسير المجتهدون فيه مؤلفاتهم الحافلة، أودعوها

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، الإمام البقاعي (١٥/١)، تح: عبد السميع محمد أحمد مكتبة المعارف، ط١ الرياض ١٩٨٧.

(٢) فاطمة بنت قيس بن خويلد القرشية الفهرية، أخت الضحاك بن قيس الأمير: صحابية، من المهاجرات الأول، كانت ذا جمال وعقل، توفيت (نحو سنة ٥٠هـ)، تهذيب التهذيب (٤٤٤/١٢)، الإعلام للزركلي (٧٦٤/٢).

(٣) سورة الطلاق: الآية/ ١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثاً لارجعة لها، رقم الحديث (١٤٨٠) (١١١٤/٢).

لطائف من علم المناسبات، ولاسيما في مواضع رجحوا فيها بعض الآراء[١] واختاروا منها رأياً على آخر، وأول تفسير يصلنا فيه لطائف من المناسبات هو (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للإمام الطبري ت(٣١٠هـ)[٢].

وكذلك في القرن نفسه ألفَّ الرماني[٣] تفسيراً أودع فيه من المناسبات فيقول محيي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، في حديثه عن المناسبات في مقدمة تفسيراً (وما رأينا أحدا ذهب إلى النظر في هذا إلا الرماني من النحويين، فإن له تفسير للقرآن، أخبرني من وقف عليه أنه نحا في القرآن هذا المنحى)[٤].

أما في القرن الخامس فكان أهتمام العلماء بهذا العلم أكثر ولاسيما في تفسيرهم لكتاب الله. فلنتأمل قول الإمام أبي محمد الجويني[٥] (ت ٤٣٨هـ)، ففي تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٦] قال: (سمعت أبا الحسن الدهان يقول: وجه اتصالها [أي بما قبلها] هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي لا يجرمنكم ذلك فأستقبلوها، فإن لله المشرق والمغرب)[٧].

أما في القرن السادس فقد ازداد اهتمام العلماء بهذا العلم، وبما يؤكد هذا قول الإمام السيوطي في مقدمة رسالته (مراصد المطالع)[٨].

---

(١) ينظر هذا الترجيحات في: جامع البيان، للطبري (٥٦٨/٤- ٥٦٩)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٢م، وسوف يتم التطرق إلى هذه الترجيحات بين الآراء في مبحث (أثر المناسبة في الترجيح بين المعاني) من هذا الفصل.

(٢) علم المناسبة وأهميته في تفسير القرآن، د.نور الدين عتر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية العدد (١) لسنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٣) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني: مفسر، من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته في بغداد، له كتاب (التفسير)، (شرح أصول ابن السراج)، (شرح سيبويه) و(معاني الحروف) وغير ها، توفي سنة (٣٨٤ هـ)، الإ علام للزركلي (٦٨٤/٢)، بغية الو عاة للسيوطي (٣٤٤).

(٤) رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، محيي الدين ابن عربي (١٣/١- ١٤)، جمعه: محمود الغراب، مطبعة نصر، دمشق.

(٥) هو عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني: من علماء التفسير واللغة والفقه، ولد في جوين (من نواحي نيسابور)، وسكن نيسابور إلى أن توفي، من كتبه (التفسير) كبير، (التبصرة= =والتذكرة) فقه، (الجمع والفرق) في الفقه الشافعي، وله رسائل منها (إثبات الاستقراء) و هو والد إمام الحرمين، توفي سنة (٤٣٨هـ)، الأعلام (٥٩١/٢).

(٦) سورة البقرة: الآية/١١٥.

(٧) البرهان للزركشي(٤٥/١)، و نص الكلام ينقله الزركشي من تفسير الجويني ويبدو أن تفسير غير موجود.

(٨) المنشورة في مجلة الاحمدية العدد(٤).

(إن من علوم القرآن العظيم: مناسبة مطالع السور ومقاطعها كما أوضحته في ((الأتقان)) وكتاب ((أسرار التنزيل)) وقد صرّح بذلك الأئمة المحققون:

كصاحب الكشاف، وشيخه عمرو بن حمزة الكرماني صاحب ((البرهان في متشابه القرآن)) و((الغرائب والعجائب في التفسير))، والإمام فخر الدين، والأصبهاني وغيرهم)[١].

إذاً فالزمخشري[٢] (ت ٥٣٨هـ)، في تفسيره الكشاف، وشيخه الكرماني (ت بعد ٥٠٠هـ) في كتابي (البرهان، والغرائب والعجائب) تحدثا عن المناسبات في كتبهم المذكورة وقد نقل عنهم الإمام السيوطي في رسالته المذكورة.

وكذلك ابو بكر بن العربي[٣] (ت ٥٤٣هـ)، مع إنه شكا من عدم العناية بهذا العلم لكنه ألفّ كتاباً في هذا العلم، ذكره في كتابه ((الناسخ والمنسوخ)) ففي معرض كلامه عن سورة الأنعام قال: (والأحكام فيها قليل لعارض بيّنا وجهه في (ترتيب آي القرآن) وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه، لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان، وأنه ليس له في هذه الأقطار حفي فوضعناه في سرب خفي)[٤].

أما في بداية القرن السابع ازداد اهتمام العلماء من المفسرين في هذا العلم فتفسير الإمام فخر الدين الرازي[٥] (ت ٦٠٦هـ) كان حافلاً بالمناسبات، ويؤكد هذا قول الزركشي (ت ٧٩٤هـ): (وتفسير الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك)[٦]، وقول السيد عبد الله بن الصديق الغماري: (والزمخشري يتعرض في تفسيره لبيان

---

(١)مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي(ص ٨٩- ٩٠)، تحقيق: د.محمد يوسف الشربجي، مجلة الأحمدية العدد/٤، لسنة ١٤٢٠- ١٩٩٩.

(٢) هو محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، ولد بزمخشر وهو نحوي لغوي متكلم معتزلي مفسر يلقب بجار الله لأنه جاور الحرم بمكة زماناً له مصنفات منها (أساس البلاغة) و(المفصل) و(الفائق من غريب الحديث) توفي سنة (٥٣٨هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص١٠٥)، طبقات المفسرين للداوودي (٣١٤/٢).

(٣) هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافري، الاشبيلي، المالكي، قاضي من حفاظ الحديث، برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، يعد من ختام علماء الاندلس وآخر أئمتها وحفظتها، من آثاره: العواصم من القواصم، أحكام القرآن، الناسخ والمنسوخ، توفي سنة (٥٤٣هـ). ينظر: الاعلام (٢٣٠/٦).

(٤) الناسخ والمنسوخ لابن العربي (٢١٠/٢)، تحقيق د.عبد الكريم المدغري، دار المناهل القاهرة ١٩٩٢م.

(٥) هو محمد بن عمر بن الحسين الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، شافعي المذهب، مفسر أصولي متكلم، له عدة تصانيف منها (المحصول) و(شرح الأسماء الحسنى) و(التفسير الكبير) توفي سنة (٦٠٦هـ)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص١٠٠)، طبقات المفسرين للداوودي (٢١٣/٢)، طبقات المفسرين الأدنة روي (ص٢١٣).

(٦) البرهان (٣٦/١).

مناسبة بعض الآي، لكن الإمام الرازي أكثر تعرضاً منه لبيان تلك المناسبة)[١]، وقول الدكتور محمد القاسم عن تفسير الرازي: (إن الكتاب حافل بالمناسبات الكثيرة، سواء بين الآية والآية، أو النجم والنجم، أو أجزاء السورة عامة، أو بين السورة وسابقتها ولاحقتها)[٢]. وقد ورد في كلامه استعمال لفظ (المناسبة)[٣].

وفي القرن نفسه ألف أبو الحسن الحرّالي[٤] المغربي نزيل حماة (ت ٦٣٧هـ) تفسيره (مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل)[٥].

قال عنه المناوي (ت ١٠٣١هـ)، في ترجمته للحرالي: (وصنف تفسيراً ملأه بحقائق، ودقائق فكره، ونتائج قريحته، وأبدى فيه من المناسبات ما يبهر العقول، وتحار منه الفحول، وهو رأس مال البقاعي، ولولاه ما راح ولا جاء، لكنّه لم يتم)[٦].

وفي القرن نفسه الف الامام أبو الفضل برهان الدين النسفي [٧] الحنفي (ت ٦٧٨هـ) تفسيره (كشف الحقائق وشرح الدقائق في تفسير كلام رب العالمين)، وكان اهتمامه بالمناسبات كثيراً حتى أنه ذكر مناسبات سور لم يذكرها الرازي[٨] وفي أوآخر هذا القرن توفي المفسر ابن النقيب[٩] (ت ٦٩٨) وكان قد ألف تفسيره (التحرير والتجبير

---

(١) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، الغماري(ص١٦)، مطبعة محمد عاطف- القاهرة.

(٢) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، د.محمد القاسم (ص٤١)، دار المطبوعات الدولية ، القاهرة،ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب- الرازي (آخر سورة المائدة) دار الفكر بيروت (١٤١٤- ١٩٩٣)، الرازي مفسراً للدكتور محسن عبد الحميد (ص١٦٣- ١٦٤)، دار الحرية بغداد (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤).

(٤) هو أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي الحرالي الأندلسي، ولد بمراكش وأقام بحماة ومات فيها، أجاد في المنطق وعلم الكلام له كتب منها (شرح الأسماء الحسنى) و(تأليف في المنطق)، توفي سنة (٦٣٧هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص٦٥)، طبقات المفسرين للداوودي (٣٨٦/١).

(٥) طبقات المفسرين: للسيوطي (٦٥)، طبقات المفسرين: للداوودي (٣٨٦/١).

(٦) الكواكب الدرية: المناوي (٤٦٥/٢) تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٧) هو محمد بن محمد ابو الفضل برهان الدين النسفي الحنفي، ولد سنة ٦٠٠ هـ، ولد في نسف، وهي مدينة كبيرة بين جيجون وسمرقند، وبها نشأ وتعلم، ثم رحل الى دلهي، ودرس فيها وافاد بدار الملك، ثم رحل الى دمشق ودرس بها، وانتفع به خلق، ثم قصد بغداد، له مصنفات عديدة منها: شرح اسماء الله الحسنى، الفصول البرهانية في المنطق، وتفسير كشف الحقائق، توفي سنة ٦٧٨هـ في بغداد، ودفن في الخيزرانية عند مشهد ابي حنيفه. طبقات المفسرين للداوودي (٢٥٢/٢)، كشف الظنون (١٧٩٩/٢).

(٨) ينظر: تفسير سورة الناس، للامام النسفي (ص١٠٣)،تحقيق د. عيادة ايوب الكبيسي، دار البحوث للدراسات الاسلامية واحياء التراث، دبي، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

(٩) هو محمد بن الحسن البلخي المقدسي المعروف بابن النقيب كان عالماً زاهداً متواضعاً وتفسيره مشهور وكان محدثاً وله سفر على طريق التصوف في قصيدة طويلة سمّاها (منهاج العارف

لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير)[1] وكان تفسيره غنياً بالمناسبات[2].

وفي أوائل القرن الثامن توفي الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي[3] (ت ٧٠٨) صاحب ((البرهان في ترتيب سور القرآن)) – أي في بيان مناسبات ترتيب السور-.

وقد ذكر في مقدمته أنه لم يرَ في هذا الضرب –مناسبات السور- شيئاً لمن تقدم وغبر: وقال: (وإنما ندر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات)[4].

وكان كتابه هذا أول كتاب مستقل في علم المناسبة كما ذكر في مقدمة كتابه كما مرَ بنا، وكما شهد له العلماء بالسبق بالتأليف في هذا الباب، فيقول الإمام الزركشي في حديثه عن المناسبات: (وقد أفرده بالتصنيف أبو جعفر بن الزبير)[5].

وفي القرن التاسع أفرده بالتصنيف الإمام البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، فلقد كانت عنايته بالمناسبات عناية فائقة، حيث جعل هذه القضية عنوان كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)[6].

كما أفرده بالتصنيف الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)، في كتابه (أسرار التنزيل)[7].

المتقي ومعراج السالك المرتقي) و هو شيخ أبي حيان، توفي سنة (٦٩٨ هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص٨٧)، طبقات المفسرين الداوودي (١٤٥/٢).

(١) طبقات المفسرين: السيوطي (٨٧)، طبقات المفسرين: الداوودي (٤٥/٢)، طبقات المفسرين: الأدنة دي (٢٥٨).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٣/١) من المقدمة.

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، كان محدثاً نحوياً مفسراً مؤرخاً، وهو من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، عمّر ثمانين سنة، له مصنفات منها (ملاك التأويل) و(الذيل على صلة ابن بشكول) توفي سنة (٧٠٨هـ)، ينظر: فهرس الفهارس، للكتاني (٣٤٠/١)، الذيل والتكملة: للمراكشي (٣٩/١- ٤٥)، الديباج المذهب: لابن فرحون (٨٨/١).

(٤) البرهان في ترتيب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي (١٨١) تح: محمد شعباني، ط١، المملكة المغربية لسنة ١٤١٠- ١٩٩٠.

(٥) البرهان (٥/١)، جواهر البيان (ص١٦)، حيث قال: (وأول من أفرد هذا النوع بالتأليف الإمام الغرناطي.

(٦) يقول الإمام البقاعي وصف كتابه: (فهذا كتاب عجاب ونبع الخباب في فن ما رأيت من سبقني إليه ولا عول ثاقب فكرة عليه، أذكر فيه انشاء الله مناسبات ترتيب السور والآيات، أطلت فيه التدبر وأنعمت فيه التفكر، لآيات الكتاب) نظم الدرر (٣/١) من المقدمة.

(٧) يقول السيوطي: (وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه جزءاً لطيفاً سميته (تناسق الدرر في تناسب السور) الاتقان (١١/٢) كما ألف رسالة في المناسبات قال عنها: (وقد

وكان هذا في أوائل القرن العاشر.

وكذلك ممن أفرده بالتصنيف من العلماء المحدثين السيد عبد الله بن الصديق الغماري الحسني في كتابه: (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)[١].

وبعد هذا العرض لهذا العلم من أول اعتماده بين الصحابة –رضي الله عنهم- واعتماده في كتب التفسير المعتبره حتى إفراده بالتصنيف –إنما أردت تسليط الضوء على بدايات النشأة والتطور وجهود العلماء فيه والمراحل التي مر بها.

والذي يبدو لي أن الاهتمام بعلم المناسبة ظل بعيداً عن اهتمام البغداديين، إلى أن جاء العلامة أبو الثناء الآلوسي[٢] فقد كان له جهدٌ واضحٌ في المناسبات بين الآيات في تفسيره (روح المعاني)[٣].

وكذلك حفيده من بعده العلامة محمود شكري الآلوسي (ت١٣٤٢هـ) وقد بدأ بتأليف كتاب أسماه (منتهى العرفان والفضل المحض في ربط آيات القرآن بعضها ببعض).

ولكنه لم يكتب منه إلا اليسير، حيث قال عنه تلميذه: محمد بهجت الأثري (ت ١٤١٦هـ): (هو منهج كتاب البقاعي الذي طبع حديثاً، ولست أدري هل وقف عليه أم لا؟ شرع في تأليفه في أوائل سنة (١٣٤١هـ) ثم حالت منيته دون أمنيته في إتمامه)[٤].

وأما في العصر الحديث فاعتنى بعض الباحثين في هذا العلم وأبــرزهم الشيخ محمد رشيد رضـــا[٥] في تفسيره (المنار)[١] والشهيد سيد قطب[٢] في تفسيره (في ظلال القرآن)[٣].

أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته: (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطامع)، الاتقان (٢١٧/٢).

(١) يقول الغماري: (وكتابي هذا ثالث كتاب في هذا العلم الشريف الهمذيه الله وله الحمد والمنة) (جواهر البيان /١٦).

(٢) شهاب الدين أبو الثناء، السيد محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي الشافعي ثم الحنفي، سافر إلى القسطنطينية ثم رجع إلى بلده، له مصنفات منها: حاشية على القطر)، توفي سنة (١٢٧٠هـ)، ينظر: هدية العارفين: إسماعيل باشا (٤١٨/٢)، الإعلام (١٧٦/٧).

(٣) جاء في (التفسير والمفسرون) ٣٦١/١ عنه: (أنه يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور، كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات).

(٤) محمود شكري الآلوسي: سيرته ودراساته اللغوية، محمد بهجة الآثري (ص ١١٠)، منشورات المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١/ ١٤١٦- ١٩٩٥).

(٥) هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني، بغدادي الأصل أحد رجال الإصلاح الإسلامي من العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون من أعمال (طرابلس الشام) رحل إلى مصر سنة (١٣١٥هـ)، ولازم الشيخ محمد عبده ثم رحل إلى سوريا ثم غادر ها أثر

ونابغة الأزهر الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه(النبأ العظيم) والدكتور مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي).
ثم في عصرنا هذا التفت الشيخ الدكتور محمد حجازي – رحمه الله – الى لون عميق من التناسب، الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، فصنف كتاباً بعنوان (الوحده الموضوعية في القرآن الكريم) وهو كتاب حسن، يحقق قول العلماء القدامي (القرآن كله قضية واحده).

دخول الفرنسيين ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا ثم إلى مصر وأصدر مجلة المنار وله كتب منها (الوحي المحمدي) و(تفسير المنار)، توفي سنة ١٣٥٤هـ، ينظر: الأعلام (١٢٦/٦).

(١) يقول في تفسيره: (ولعمري إن وجود الأتصال بين الآيات وما فيها من دقائق المناسبات لهي ضرب من ضروب البلاغة وفن من فنون الإعجاز، إذا أمكن للبشر الإشراف عليه فلا يمكن لهم البلوغ إليه)، تفسير المنار، دار المعرفة ط٢، لم يذكر تاريخها، (٢٤٦/١).

(٢) هو سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة –سنة ١٩٢٤م- انضم إلى الإخوان وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم فعكف على التأليف في السجن إلى أن أعدم سنة ١٣٨٧ هـ، له كتب قيمة منها (التصوير الفني في القرآن) و(النقد الأدبي أصوله ومناهجه) و(العدالة الاجتماعية)، ينظر: الإعلام (١٤٧/٣).

(٣) يقول الدكتور صلاح الخالدي: (....كان ببيان الوجوه الموضوعية في القرآن وإظهار التناسب في سوره وآياته قاعدة من قواعد منهجه في التفسير) المنهج الحركي في ظلال القرآن، (ص١٦٦)، دار المنار، ط٢، ١٩٨٦.

المبحث الثالث
أنواع المناسبات

لقد بين العلماء أنواع المناسبات في معرض كلامهم عن المناسبة، وهي المناسبات بين السور، والمناسبات بين الآيات.

النوع الأول: المناسبات بين السور.

إن التآلف والترابط كما هو حاصل بين آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة، كذلك بين السور، فأنت لا تقرأ سورة من القرآن الكريم بإمعان وتدبر، إلا وجدتها متناسبة مع سابقتها، ومترابطة ترابطاً يظهر سراً من أسرار الترتيب ووجهاً من وجوه الإعجاز.

وتنقسم المناسبات بين السور إلى عدة أقسام:

القسم الأول: مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها[١].

قال الإمام الزركشي: (إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها... كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فأنه مناسب لختام المائدة من فصل الخطاب... وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح، فأنه مناسب لختام سورة الواقعة، من الأمر به)[٢].

القسم الثاني: مناسبة سورة لسورة أخرى[٣].

ومثاله في سورة الحديد والتغابن: (ألا ترى اجتماع هاتين السورتين في ذكر خلق السموات والأرض، والإعلام بإحاطة علمه سبحانه، وما يترتب على ذلك من الجزاء الأخروي وذكر الأموال والأولاد والفتنة بهما، وتحقير أمر الدنيا وما أنطوت عليه الإشارة إلى تفصيل أحوال الخلق وجزائهم الأخروي... وأنطواء كل واحدة من هاتين السورتين على جملة من الأسماء العلية... وتحصل نظم السورتين على أتم مناسبة وأجل تلائم)[٤].

القسم الثالث: مناسبة افتتاح أكثر من سورة[٥].

---

(١) ذكر هذا النوع من المناسبة الزركشي في البرهان (٣٨/١)، والسيوطي في الاتقان (٢١٧/٢)، والغماري في جواهر البيان/ ١٦.

(٢) البرهان (٣٨/١)، الاتقان (٢١٧/١).

(٣) ذكر هذا النوع من المناسبة الزركشي في البرهان (٣٩/١)، والسيوطي في الاتقان (٢١٨/٢)، والغماري في جواهر البيان /١٦، حيث قال (تناسب السورتين في الموضوع هو الأصل والأساس) وهذا النوع من المناسبات أول من أفرده بالتصنيف ابن الزبير الغرناطي في كتابه: (البرهان في ترتيب سور القرآن).

(٤) ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي (٤٦٨/٢)، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي دار الكتب العلمية بيروت ط١ لسنة ١٤٢٧- ٢٠٠٦.

(٥) ذكر هذا النوع الزركشي في البرهان (٣٩/١)، والسيوطي في الاتقان (٢٢٢/٢).

ومن أمثلة هذا القسم: (مناسبة أفتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد؛ لأن التسبيح حيث جاء مقدّم على التحميد؛ يقال: سبحان الله، والحمد لله)[1].

القسم الرابع: مناسبة فواتح السور وخواتمها[2].

ومن أمثلة هذا القسم ما ذكره الزمخشري: (وقد جعل الله فاتحة سورة ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[3] وأورد في خاتمتها: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[4] فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة)[5].

(١) البرهان (٣٩/١)، الاتقان (٢٢٢/٢)، جواهر البيان (ص٥٧).
(٢) ذكر هذا النوع السيوطي في معترك الاقران (٥١/١)، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، والاتقان (٢٢١/٢)، جواهر البيان للغماري /١٦.
(٣) سورة المؤمنون: الآية/١.
(٤) سورة المؤمنون: الآية/١١٧.
(٥) الكشاف(٢٠٧/٣)، ينظر البحر المحيط (٤٢٥/٦).

القسم الخامس: مناسبة اسماء السور لمقاصدها[١].

ومن أمثلة هذا القسم ما ذكره البقاعي في مناسبة سورة يوسف لمقصودها حيث قال: (مقصودها وصف الكتاب بالإبانة لكل ما يوجب الهدى لما ثبت فيما مضى ويأتي في هذه السوره من تمام علم منزله غيباً وشهادة وشمول قدرته قولاً وفعلاً، وهذه القصة أنسب الأشياء لهذا المقصود، فلذلك سميت سورة يوسف)[٢].

القسم السادس: مناسبة الفواصل[٣].

إن فواصل القرآن جاءت مناسبة للآي التي ختمت بها، ومناسبة للجو العام للسورة التي وجدت فيها هذه الفواصل إذ إن الفاصلة (تحقق مقياس التناسب الذي أنتبهو إليه وهو قرارها المتفق مع الآية والملائم لنوع الصوت الذي يساق عليه)[٤].

يقول الإمام السيوطي فيما ينقله عن غيره: (اعلم إن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يرتكب لها أمور مخالفة الأصول، قال: وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في أخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الأربعين حكماً)[٥] بمعنى تغيير البنية اللغوية للكلمة مراعاة للفاصلة، لتكون الفاصلة متناسبة مع الآيات داخل السورة.

---

(١) ذكر هذا النوع البقاعي في (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) حيث إن الكتاب يتحدث عن مقاصد سور القرآن الكريم ويقع الكتاب في ثلاث مجلدات، وذكره السيوطي في الاتقان (٢٢١/٢)، ينظر: بحوث منهجية في علوم القرآن، موسى إبراهيم الإبراهيمي (ص٢٣٥) ط٣، دار عمار عمان الأردن، ١٤١٦- ١٩٩٦.

(٢) نظم الدرر (٣/٤).

(٣) ذكر هذا النوع من المناسبة، ابن القيم في كتابه الفوائد (٨٨)، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٧هـ، والزركشي في البرهان (٦٠/١)، والسيوطي في الاتقان (١٩٣/٢).

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، (ص٢١٢) دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

(٥) الاتقان (١٩٣/٢) وكلامه نقلاً عن الشيخ شمس الدين بن الصائغ في كتابه (أحكام الراي في أحكام الآي) ويبدو أن هذا الكتاب غير موجود.

ومن أمثلة هذا القسم:

قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾[1] فلو إنك قلت: (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة لأختلفت القافية ولتاثر الإيقاع، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] فلو قلت: الكم الذكر وله الأنثى؟ تلك قسمة ضيزى... (أختل الإيقاع المستقيم بكلمة إذاً)[3] فـ(الأخرى) و(إذاً) جاءتا لتؤديان (معنى في السياق ولتؤديان تناسباً في الإيقاع[4] في وقت واحد)[5].

النوع الثاني: المناسبات بين الآيات القرآنية.

تقسم الآيات القرآنية من حيث أرتباطها على قسمين:

أولاً: آيات مكملة لما قبلها، لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالآية الأولى أو تكون الثانية للأولى على جهة التأكيد أو التفسير.

ثانياً: آيات مستقلة عن الآيات السابقة عليها، وهي على قسمين: معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف، وغير معطوفة.

يقول الإمام ولي الدين الملوي[6]: (والذي ينبغي في كل آية أن يُبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم)[7].

---

(١) سورة النجم: الآيتان (١٩، ٢٠).

(٢) سورة النجم: الآيتان (٢١، ٢٢).

(٣) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي (ص١٦٦- ١٦٧)، دار الشهاب، الجزائر ١٩٨٨م.

(٤) أول من استعمل مصطلح الإيقاع ابن طباطبا (ت٣٢٢ هـ)، في (عيار الشعر) قائلاً: (وللشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تراكيبه واعتدال اجزائه) ينظر: مفهوم الأدبية في القرآن، الزيدي (ص ١٣٩) وذكره التوحيدي في المقابسات في إطار حديثه عن الموسيقى قائلاً (فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة)،ينظر: المقابسات لأبي حيان التوحيدي (ص٣١٠).

(٥) نظرية التصوير الفني (ص ١٦٧).

(٦) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم ولي الدين أبو عبد الله العثماني الديباجي الشافعي المعروف بأبن المنفلوطي وبالملوي، ولد سنة (٧١٣ هـ)، ونشأ بدمشق ثم طلب إلى الديار المصرية ودرس بالمدرسة التي أنشأها هناك، برع في التفسير والفقه والأصول والتصوف، توفي سنة (٧٧٤هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للداوودي (٥٨/٢)، شذرات الذهب (٤٠٢/٨).

(٧) البرهان (٤٠/١)، الاتقان (٢١٢/٢).

ويقول الإمام الزركشي: (فنقول: ذكر الآية بعد الأخرى، إما أن يظهر الارتباط بينهما، لتعلق الكلام بعضه لبعض، وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد أو التفسير أو الاعتراض والتشديد وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما ألا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة[1] على ما قبله بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أو لا...)[2].

وإليك تفصيل قسمي الآيات القرآنية وشرحها من حيث ارتباطها وأنواع الروابط:

(١) العطف: هو أحد التوابع الأربعة، وهو قسمان: عطف نسق: وهو التابع المتوسط بينه وبين متبوعة أحد الحروف، ومنها: الواو والفاء وثم وحتى وأم، وعطف بيان: وهو التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعة وعدم استقلاله، نحو: ((أقسم بالله أبو حفص عمر)) فعمر: عطف بيان لأنه موضح لأبي حفص.
ينظر: شرح ابن عقيل (١٩١/٣و ١٩٧)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ١٤١١-١٩٩١، بدائع الفوائد لابن القيم (١٨٩/١)، الطباعة المنيرية.
معاني النحو، فاضل السامرائي، ط٢ (٢٠١/٣ وما بعدها)، شركة العاتك للطبع والنشر-القاهرة، ١٤٢٣- ٢٠٠٣.

(٢) البرهان (٣٧/١).

القسم الأول: آيات مكملة لما قبلها[١]:

أ- لتعلق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمامه بالآية الأولى، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[٢]. ففي هذه الآية نداء للنفس المطمئنة. ولكن لم يتبين فيها مضمون النداء، وإنما تم المعنى بالآيات اللاحقة في قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[٣].

وهذا القسم من الآيات مناسبتها ظاهرة وواضحة لذلك لم يبحث مناسبتها أكثر المفسرين الذين اعتنوا بالمناسبات.

ب- ان ترتبط الآية الثانية بالآية الأولى على سبيل التأكيد، أو التفسير، أو الاعتراض، أو التعليل، أو التمثيل، أو الجواب عن سؤال في الآية الأولى.

١- **التأكيد**[٤]: أعني به تأكيد معنى الجملة لا الذي يبحثه النحويون[٥]، فتكون الآية الثانية مؤكدة لمعنى الآية الأولى، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾[٦]، (فإن الثانية تقرر المعنى الأول وتؤكده فإن المراد من سبيل الرشاد هو الهداية إلى طريق الجنة)[٧].

٢- **التفسير**[٨]: أن تكون الآية الثانية موضحة وكاشفة لما أبهم وخفي في الآية الأولى.

وله فوائد منها: تفخيم وتعظيم ما أبهم وخفي، يقول الزركشي: (تفعله العرب في مواضع التعظيم)[٩]، (ولأنه –أي المبهم- هو الذي يطرق السمع أولاً فيذهب كل مذهب)[١٠]، وقد يكون (لتمكين المعنى في النفس تمكيناً زائداً لوقوعه بعد الطلب، فأنه أعز من المنساق بلا

---

(١)هذا التقييم بينه الامام الزركشي في البرهان (٤٠/١)،والسيوطي في الاتقان:(٢١٢/٢).

(٢) سورة الفجر: الآية/ ٢٧.

(٣) سورة الفجر: الآية (٢٨، ٢٩، ٣٠).

(٤) ذكره الزركشي في البرهان (٤٠/١) والسيوطي في الاتقان (٢١٢/٢).

(٥) إذ أن التأكيد ينقسم إلى قسمين: الأول: عام وهو يتعلق بالمعاني الإعرابية، ولا يتعلق بمقاصد البلاغة والثاني: خاص يتعلق بعلوم البيان ويقال له التكرير أيضاً). ينظر: الطراز، للعلوي (٧٦/٢)، القاهرة، ١٩١٤م.

(٦) سورة غافر الآيتان (٣٨، ٣٩).

(٧) الإعجاز البياني، القاسم (ص٣١٣).

(٨) ذكره الزركشي في البرهان (٤٠/١)، والسيوطي في الاتقان (٢١٢/٢).

(٩) البرهان (١١٨/٣).

(١٠) الفوائد المشوق، ابن القيم (ص١٧٩).

تعب، أو لتكمل لذة العلم به، فإن الشيء إذا علم من وجه ما، تشوقت النفس للعلم به من باقي وجوهه وتأملت، فإذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة)[١].

ومثاله قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ، فوضع المقصود بالصراط بقوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾[٢]، وكقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ فبين الهلع بقوله: ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ ﴾[٣].

٣- **الاعتراض**[٤]: (هو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى، بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه، ولا يفوت بفواته، فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين لنكته)[٥].
(والجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب، وهذا كله مقرر في علم النحو، ولكن أرباب البيان وعلماء البلاغة يتناولون هذا الموضوع من زاوية أخرى، من الزاوية التي تعنيهم، فيبحثون عن الأغراض البلاغية التي تأتي من أجلها الجملة المعترضة)[٦].

ومثاله قوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ ﴾[٧]، يقول الإمام الزمخشري: (إنهُ لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض في اعتراض؛ لأنه اعتراض به بين المقسم والمقسم عليه، وهو قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ واعترض بـ (لو تعلمون) بين الموصوف وصفته)[٨].
وفائدة الاعتراض: (هو تعظيم شأن المقسم به في نفس القارئ، أو السامع، أي: أنه من عظم الشأن وفخامة الأمر، بحيث لو علم ذلك لوفى حقه من التعظيم)[٩].

---

(١) الاتقان (٢٠٣/٢).
(٢) سورة الفاتحة: الآية (٦- ٧)، ذكر هذا المثال في الفوائد المشوق (١٧٩).
(٣) سورة المعارج الآيات (١٩- ٢١) ذكر هذا المثال في الإعجاز البياني (٣١٣).
(٤) ذكر هذا النوع من الروابط الزركشي في البرهان (٤٠/١) والسيوطي في الأتقان (٢١٣/٢).
(٥) البرهان (٦٥٧/٣)، والاتقان (٢١٣/٢).
(٦) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس (ص٥٠٠- ٥٠١)، دار الفرقان، ط٢، ١٩٨٩م.
(٧) سورة الواقعة: الآيات (٧٥- ٧٧).
(٨) الكشاف: الزمخشري (٤٥٦/٤- ٤٥٧).
(٩) الفوائد المشوق، لابن القيم (ص١٨٠).

٤- **التعليل**[١]: أن تكون الآية الثانية تعليلاً للآية الأولى حيث إن (إثبات الحكم بذكر علته أروج في العقل من إثباته بمجرد دعواه)[٢]، وذلك لأن النفوس (أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها)[٣]، (وغالب التعليل في القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال من علّه)[٤]، وهو كثير في القرآن الكريم. وأدواته كثيرة منها: (اللام، وإن، وإذا، والباء، وكي، والفاء، ومن، ولعل، من أجل....)[٥].

مثاله قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[٦].

يقول الإمام أبو حيان في ربط الآيتين: (ثم تبين تعالى الحكمة في إعلامنا بذلك الذي فعله من تقدير ذلك –أي المصائب- وسبق قضائه به فقال لكيلا تأسوا...)[٧].

٥- **التمثيل**[٨]: أن يكون الرابط بين الآيتين التمثيل وهو أما ظاهر وهو الأغلب في القرآن وأما خفي، مثال التمثيل الظاهر قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[٩].

فترتبط هذه الآية بالآيات السابقة التي وصفت المنافقين وبينت أحوالهم بأنها تمثيل لحال المنافقين، يقول الإمام الزمخشري: (لما جاء بحقيقة صنعتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان)[١٠].

---

(١) ذكره من الروابط الفراهي في كتابه (دلائل النظام)، (ص٧٢) مطبعة الدائرة الحميدية ط١٩٨٨م.
(٢) المصباح في علم المعاني، بدر الدين بن مالك (ص١١٠) القاهرة، ١٣٤١هـ.
(٣) السيوطي (١٩١/٢).
(٤) البرهان (١٦٦/٣).
(٥) للاستزادة والوقوف على أمثلتها يراجع البرهان (١٦٥/٣- ١٧٣)، والاتقان (١٩١/٢).
(٦) سورة الحديد: الآية (٢٢، ٢٣).
(٧) البحر المحيط: (٢٢٤/٨).
(٨) ذكره من أنواع الروابط الفراهي في كتابه (دلائل النظام) (ص٧٢).
(٩) سورة البقرة: الآية ١٧.
(١٠) الكشاف: (٧٩/١).

ومن التمثيل الخفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١).

يقول الإمام الزمخشري: (قوله: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ ﴾ قيل: تمثيل لأثر الذكر في القلوب وأنه يحييها كما يحيى الغيث الأرض)(٢).

القسم الثاني: آيات مستقلة عن الآيات السابقة عليها: وهي على قسمين:

إمعطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف، وإما غير معطوفة.

أ- **المعطوفة**(٣): ويسمى المزج اللفظي(٤) بين الآيات:

(ولابد أن تكون بينهما –أي المعطوف والمعطوف عليه- جهة جامعة، وقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب)(٥).

مثاله: قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ ﴾ (٦)، (وفائدة العطف جعلها كالنظيرين والشريكين)(٧).

---

(١) سورة الحديد: الآية (١٦-١٧).

(٢) الكشاف: (٤/٤٦٥).

(٣) البرهان (١/٤٠)، الإتقان (٢/٢١٢).

(٤) البرهان (١/٤٦)، في حين سماها ابن أبي الأصبع المصري المناسبة اللفظية (بديع القرآن)، (ص١٤٦).

(٥) البرهان (١/٤٠)، الإتقان (٢/٢١٢).

(٦) سورة الحديد: الآية (٤).

(٧) البرهان (١/٤٠).

(وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويُشكل وجه الارتباط)[1] مثاله قوله تعالى[2]: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[3].

يقول الإمام الزمخشري في الربط بين الآيتين: (والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس، فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وأفعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان ولا يختص إسكانها في مسجد ولا في مكان دون مكان)[4] ونحوه قال الإمام: أبو السعود[5].

ويقول الإمام البقاعي في الربط بين الآيتين: (ولما أفهمت الآية –الأولى- أنه جعل لأولياء الله منع من عمارة بيت الله –الحرام- بذكره، وكان الله تعالى قد منَّ على هذه الأمة بأن جعل الأرض كلها لها مسجداً، سلّى المؤمنين بأنهم أينما صلوا بقصد عبادته لقيهم؛ لأنه لا يختص به جهة دون جهة...)[6].

مثال آخر[7]: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[8].

يقول الإمام الزركشي: (فأنه يُقال: ما وجه الجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في هذهِ الآية؟ الجواب: إنما جمع بينهما على مجرى الالف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر...)[9].

ويقول الدكتور صبحي الصالح –بعد أن ذكر قول الزركشي في ربطها: (أليس الحد الأدنى من الارتباط بينهما ضرباً من التناسق التصويري لمجموعة من المشاهد الكونية المعروضة لنظر الإنسان حيث كان)[1].

---

(١) البرهان (٤٠/١).
(٢) ذكر هذا المثال الزركشي في البرهان (٤٥/١)، والسيوطي في الاتقان (٢١٦/٢).
(٣) سورة البقرة: الآية (١١٤، ١١٥).
(٤) الكشاف: (١٧٩/١).
(٥) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود (١٥٠/١)، دار أحياء التراث العربي ط٤، ١٩٩٤.
(٦) نظم الدرر (٢٢٦/١).
(٧) ذكر هذا المثال الزركشي في البرهان (٤٥/١).
(٨) سورة الغاشية، الآيات (١٧-٢٠).
(٩) البرهان (٤٥/١).

أن تكون الآية مستقلة غير معطوفة على ما قبلها:

أي لابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهي قرائن معنوية مؤذنة بالربط، وهذا مزج معنوي، نُنزل –الآية- الثانية من –الآية- الأولى منزلة جزئها الثاني وله أسباب)[٢].

وأما أسبابه فهي:

أولاً: التنظير[٣]: (هو أن ينظر الإنسان بين كلامين اما متفقي المعاني أو مختلفي المعاني ليظهر الأفضل منهما) [٤]فإن الحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء، ومثاله قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [٥]، عقب قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [٦].

يقول الإمام الخطابي[٧]: (قال بعضهم إن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون، وذلك أنهم في يوم بدر اختلفوا في الأنفال، وحاجوا النبي ع وجادلوه فكره كثير منهم ما كان من رسول الله ع في النفل، فأنزل الله تعالى الآية وأنفذ أمره فيها، وأمرهم أن يتقوا الله وأن يطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء فيما بعد، إن كانوا مؤمنين)[٨].

---

(١) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (ص٥١٣ وما بعدها)، دار العلم للملايين ط١٦، ١٩٨٥م.

(٢) البرهان (٤٧/١).

(٣) ذكره الزركشي في البرهان (٤٧/١) والسيوطي في الاتقان (٢١٣/٢).

(٤) بديع القرآن (ص ٢٣٨).

(٥) سورة الأنفال: الآية (٥).

(٦) سورة الأنفال: الآية (٤).

(٧) هو محمد بن محمد بن إبراهيم البُستي فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل، من نسل زيد بن الخطاب رضي الله عنه، له كتب منها (معالم السنن) في شرح سنن أبي داود توفي سنة (٣٨٨هـ)، شذرات الذهب (٤١٧/٤)، والإعلام (٢٧٣/٢).

(٨) بيان إعجاز القرآن، الخطابي (ص٤٩- ٥٠)، دار المعارف بمصر، والبرهان (٤٧/١)، والاتقان (٢١٣/٢).

ومثال آخر: قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴾[1] عقب قوله: ﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2]. أي: (أنذركم عقوبة وعذاباً كما أنزلنا على المقتسمين أي أنذركم بعذاب كالعذاب الذي أنزل على المقتسمين)[3].

ثانياً: المضاده: (وهو جامع وهمي، وحكمته التشوق والثبوت على أفضل المتضادين، كما قيل: وبضدّها تتبين الأشياء)[4].

مثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧ ﴾[5] -جاء عقب قوله سبحانه- ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾[6].

(فإن أول السورة كان حديثاً عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقّب بحديث عن الكافرين، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل بضدّها تتبين الأشياء.

فإن قيل هذا جامعٌ بعيد: لأن كونه حديثاً بالعرض لا بالذات، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن القرآن؛ لأنه مفتتح القول.

قيل: لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التعلق على أي وجه كان، ويكفي في وجه الربط ما ذكرنا)[7].

ثالثاً: الاستطراد[8]: (وهو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر جعل الأول سبباً له)[9].

---

(١) سورة الحجر: الآية (٩٠).
(٢) سورة الحجر: الآية (٨٩).
(٣) إعجاز القرآن الكريم، د.فضل حسن عباس (ص١٦).
(٤) البرهان (٤٩/١)، ويبدو إن التضاد يظهر في المزج اللفظي والمعنوي لأهميته في إظهار المناسبة ولذلك جعلته أحد أنواع العلاقات في هذه الدراسة.
(٥) سورة البقرة: الآية (٦-٧).
(٦) سورة البقرة: الآية (٣-٥).
(٧) البرهان (٤٩/١)، الاتقان (٢١٣/٢).
(٨) ذكره الزركشي في البرهان (٤٩/١)، والسيوطي في الاتقان (٢١٣/٢).
(٩) الإعجاز البياني، محمد القاسم (ص٣١٩).

مثاله قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[1]، والآية السابقة عليها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ...الآية ﴾[2] والآية اللاحقة قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ...الآية ﴾[3].

يقول الإمام الزمخشري: (فإن قلت هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان؟ قلت: هو كلام اعتراض به على سبيل الاستطراد تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك)[4].

رابعاً: التخلص[5]: حقيقته: (هو أن يأخذ المتكلم في معنى من المعاني فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى غيره وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه أخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع المتكلم كلامه ويستأنف كلاماً آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً)[6].

(قيل هو أن ينتقل مما ابتديءَ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسهُ اختلاساً، دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني، لشدة الإلتئام)[7].

(ومن شروطه أن يكون انتقاله من فن إلى فن بديع، وحسن وصف، ووجازة لفظ، ورشاقة معنى، ليكون الذي انتقل إليه أقرب إلى القلب وأعلق بالنفس من المعنى الذي انتقل عنه)[8].

والفرق بين التخلص والاقتصاب (أن الاقتضاب : أن يقطع الناظم كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره... ولا يكون للثاني علاقة بالاول.. ولذلك قال

---

(١) سورة لقمان: الآيات (١٤، ١٥).
(٢) سورة لقمان: من الآية (١٣).
(٣) سورة لقمان: من الآية (١٦).
(٤) الكشاف:(٤٧٩/٣)، ينظر: الإعجاز البياني، للقاسم: (ص٣٢٠).
(٥) ذكره الزركشي في البرهان (٤٣/١)، والسيوطي في الاتقان (١٣/٢).
(٦) الفوائد المشوق، ابن القيم (ص١٤٠).
(٧) الاتقان (٢١٣/٢).
(٨) الفوائد المشوق، ابن القيم (١٤٠- ١٤١).

أبو العلاء محمد بن غانم الغانمي : إن كتاب الله العزيز خال من الاقتضاب والتخلص. وهذا القول فاسد ؛ لأن حقيقة التخلص إنما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غيره. بلطيفة تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه، وفي القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير والإنذار والبشارة بالجنة الى امر ونهي ووعد ووعيد). [1]

ومثاله[2]: قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ....الآيات ﴾ [3].

(لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله عز وجل قال: -أن أولئك أعداء لي إلا الله- فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل)[4].

ويقول الإمام السيوطي: ((ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً للسامع مفصولاً بهذا كقوله في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [5] فإن هذا القرآن نوع من الذكر، فلما انتهى ذكر الأنبياء، وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة وأهلها))[6].

هذه هي أنواع المناسبة في القرآن الكريم وما تنقسم إليه، وقد آثرت عرضها عرضاً تفصيلياً مع التمثيل لتوضيح الفرق بينها وبين الروابط، وللوصول إلى النوع الأول الذي يتمثل في المناسبات بين السور والآيات والذي هو مناط الدراسة.

---

(١) الفوائد المشوق: (ص ٤٣).
(٢) ذكره ابن القيم في الفوائد المشوق، ص١٤٠- ١٤١، الزركشي في البرهان (٤٣/١).
(٣) سورة الشعراء: الآيات (٦٩- ٧٨).
(٤) الفوائد المشوق، ص(١٤١)، البرهان (٤٤/١).
(٥) سورة ص: الآية/ ٤٩.
(٦) الاتقان (١٤/٢).

المبحث الرابع
أهمية المناسبة وأقوال العلماء فيها

كما عني أئمة التفسير المحققون بجلاء وجه الارتباط بين كل سورة مع السورة التي قبلها، وبيان مناسبة كل فقرة من الآيات تتحدث عن قضية مع الفقرة التي قبلها التي تتحدث عن موضوع آخر. حتى أحتلت هذه الزاوية من البحث في تفسير القرآن وكان الاهتمام والإعلان عنها.

عُني قبل ذلك الوقت علماء الإعجاز والبلاغة بالنظم القرآني فكان أهتمامهم بقضية النظم واعتبار الإعجاز في نظمه وأسلوبه، فكان حديثهم في مصنفاتهم عن تناسق الآيات فيما بينها، ومناسبة الفاصلة للآية التي ختمت بها والروابط بين الآيات، واختيار الألفاظ في الآية وغيرها من المعاني التي كان بها القرآن معجزاً.

ولإدراك هذه الأهمية –أهمية المناسبة- لابد لنا من تتبع الموضوع منذ بداياته الأولى في عدّ الإعجاز القرآني في بديع نظمه وعجيب تأليفه.

ولست في هذه –العجالة- متحدثاً عن كل أقوال العلماء في هذا المجال فلا أتطرق إلا لما يلزم هذه الدراسة ويقف على المراد.

ففي بدايات القرن الثالث بدأت التصانيف في هذا الموضوع حتى أنّ (نظم القرآن) كان العنوان المختار لمصنفي هذا القرن[1].

(١) ينظر: التفسير البياني ومسائل ابن الأزرق، الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) (ص١٦) دار المعارف بمصر. حيث ذكرت أن الجاحظ الف (نظم القرآن) وقد أشار إليه في كفاية (الحجج) كما أشار إليه الباقلاني في (إعجاز القرآن) وألف السجستاني أبو بكر (نظم= =القرآن) في النصف الثاني من القرن الثالث وكذلك (أبو زيد البلخي وأحمد بن سليمان) ومعاصره ابن الأخشيد، وقد أشار إلى كتابه الخياط في (الانتصار) والزمخشري في مقدمة (الكشاف).

وقدم القرن الرابع، رصيده من التصانيف واختار عنوان (إعجاز القرآن) الذي غلب على رسائل من تصدوا للتأليف فيه من أعلام هذا القرن[١].

وإن اهتمام الجرجاني في مسألة النظم وعد الإعجاز في ترابط الكلمات هو الذي جعل سيد قطب يقول: (رحم الله عبد القاهر لقد كان النبع منه على ضربة معول فلم يضربها، هو في ذلك الذي قاله من ناحية النظم)[٢].

ومن هنا اكتسب هذا العلم – علم المناسبات – أهميته، من خلال دراسة، ذلك العلم ذي الشأن الرفيع اعجاز القرآن الكريم.

ومما يؤيد ما بيناه من أن علماء الإعجاز في حديثهم عن النظم وارتباط الكلام مع بعضه أرادوا به المناسبة، هو قول الإمام الرازي في آخر تفسيره لسورة البقرة: (ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه، فهو معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته والذين قالوا: أنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك)[٣].

حيث إن الأسلوب القرآني هو (طريقته التي أنفرد بها في تأليف كلامه وأختيار الفاظه)[٤] وقد صرّح القاضي أبو بكر بن العربي بأهمية هذا العلم قائلاً: (ارتباط آي القرآن بعضه ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم)[٥].

ولأهمية المناسبة فقد جعل محي الدين بن عربي البحث فيها هو نظر الكامل من الرجال حيث قال: (لابد من مناسبة بين آي القرآن، وأن كان بينهما بُعدٌ ظاهر، ولكن لابد من وجه جامع بين الآيتين مناسب، وهو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات، لأنه نظم ألهي... ثم يقول: إن مسمى الآية إذا لزمتها أمور من قبل أو بعد، يظهر من قوة الكلام أن الآية تطلب تلك اللوازم، فلا تكمل الآية

---

(١) ومن أشهر ما وصل إلينا من مصنفاتهم في الإعجاز (الذكت في إعجاز القرآن) الرماني (ت ٣٨٤هـ)، و(بيان إعجاز القرآن) للخطابي (ت ٣٨٤هـ)، و(إعجاز القرآن) للباقلاني ت(٤٠٣هـ)، ومعها جزء (إعجاز القرآن) من كتاب (المغني: في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٣١٥) ينظر التفسير البياني لبنت الشاطي (ص١٨).

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (ص٣٣)، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، (د.ت).

(٣) مفاتيح الغيب: (١٤٠/٤).

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني (٢٢٧/٢)، دار المعرفة- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(٥) في كتابه (سراج المريدين). نقله عنه الزركشي في البرهان (٣٨/١)، وتابعه السيوطي في الاتقان (٢١١/٢)، ومنه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية كما قال الأستاذ سعيد إعراب في كتابه (مع القاضي أبي بكر بن العربي) (ص١٣١).

إلا بها، وهو نظر الكامل من الرجال، فمن ينظر في كلام الله على هذا النمط، فأنه يفوز بعلم كبير وخير كثير)[1].

وفي ذلك تضافرت أقوال سادتنا العلماء –رحمهم الله- فيقول الإمام الخطابي (فتفهم الآن وأعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني)[2].

ويقول الإمام الباقلاني[3] -رحمه الله- في حديثه عن المعاني التي بها كان القرآن معجزاً في بديع نظمه وعجيب تأليفه: (وفي ذلك معنى ثالث: وهو أن عجيب نظمه وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها)[4].

وقد بين الإمام عبد القاهر الجرجاني -أهمية المناسبة- من خلال الأمثلة والشواهد، ففي حديثه عن النظم قال: (وهل تشكُ إذا فكرت في قوله تعالى: : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5] فتجلى لك الإعجاز لأمر راجع إلى أرتباط هذه الكلم ببعضها، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثانية بالرابعة؟ وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها، ثم مقابلة (قيل) في الخاتمة بـ(قيل) في الفاتحة، وما بين الألفاظ من الاتساق العجيب)[6].

وليس النظم عند الجرجاني سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض[7]، وهو ما يعرف بعلم المناسبة.

وبين الإمام الزركشي أهمية هذا العلم في الباب الثاني من كتابه البرهان فقال: (وأعلم أن المناسبة علم شريف، تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول)[1].

---

(١) رحمة من الرحمن،ابن عربي (١٣/١- ١٤).

(٢) بيان إعجاز القرآن، الخطابي، تحقيق: محمد خلف الله، د.محمد زغلول دار المعارف، ط٤ (ص٢٧، ٢٨).

(٣) هو محمد بن الطيب الباقلاني، من كبار علماء الكلام، ولد في البصرة، وسكن بغداد عمل في القضاء وكان ورعاً باطنه معموراً بالعبادة والديانة وله مناظرات مع علماء النصرانية وأرسل سفيراً إلى ملك الروم وله مصنفات منها (إعجاز القرآن) و(الانصاف) و(مناقب الأئمة) توفي سنة (٤٠٣هـ)، أنظر شذرات الذهب (٢٠/٥- ٢١) والاعلام (١٧٦/٦).

(٤) إعجاز القرآن، الباقلاني، شرح وتعليق د.محمد الخفاجي (ص٨٧)، دار الجيل ط١، ١٩٩١.

(٥) سورة هود: الآية ٤٤.

(٦) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ص٩٤)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي مكتبة القاهرة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

(٧) دلائل الإعجاز (ص٩٧)، ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، للدكتور أحمد مطلوب (٣٣٢/٣) الدار العربية للموسوعات بيروت ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

وقال الإمام البقاعي: (.... ولذلك كان هذا العلم –أي المناسبة- في غاية النفاسه وكانت نسبته من علم التفسير نسبة البيان من النحو)[٢].

وقد عدّه السيوطي وجهاً من وجوه الإعجاز فعنده (الوجه الرابع: المناسبات بين السور والآيات، والوجه الخامس: أفتتاح السور وخواتيمها)[٣].

وقد بين أبو الفضل الغماري الحسني أهمية هذا العلم حيث نظم:

علـــــم التناســـــب للســـــور. علـــــم جليـــــل ذو خطـــــرْ.

قـــــد قـــــلَّ فيـــــه الكـــــاتبون. كمـــــا قـــــد عـــــزَّ المســـــتطرْ[٤].

وقال في مقدمة كتابه: (المناسبة علم عزيز، قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته، واحتياجه إلى مزيد فكر وتأمل)[٥].

وبعد معرفة أهمية علم المناسبة وأقوال العلماء فيها فما هي فائدته؟ سنتعرف عليها في موضوع المبحث الآتي.

---

(١) البرهان (٣٦/١).
(٢) نظم الدرر (٥/١).
(٣) معترك الاقران، للسيوطي (٥٠/١، ٥٨)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان.
(٤) جواهر البيان، للغماري (ص٢).
(٥) المصدر نفسه (ص١٤).

المبحث الخامس
فوائد المناسبة

نظراً لأهمية هذا العلم فقد صرّح العلماء بفائدته، إذ قال الزركشي عنه: (وفائدته جعل اجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)[١] ولاشك أنه (عند التأمل يظهر أنَّ القرآن كله كالكلمة الواحدة)[٢].

كما بين البقاعي أهمية هذا العلم قائلاً: (وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك منها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة)[٣].

ثم قال في موطن آخر عن فائدته: (وبه يتبين سر التكرار في قصص القرآن وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أُدعيَ في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظوم بالتقديم والتأخير والإيجاز والتطويل)[٤].

بمعنى أن إيراد القصة الواحدة في أكثر من سورة وهذا كثير في سور القرآن، هو لمعنى يتناسب مع جو السورة، وموضوعها، يختلف عن المعنى الذي ذكرت فيه القصة في سورة أخرى.

ومن فوائده أيضاً: (به يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله ولا على آخر سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[٥] بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كأتصالها بما قبلها بل أشد)[٦].

وهذا الاتصال الشديد بين أول سورة في القرآن وآخر سورة منه يُظهر الإعجاز في نظمه، ويؤكد التوقيف في ترتيبه في المصحف فأنه: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[٧].

---

(١) البرهان للزركشي (٣٦/١).
(٢) المصدر نفسه، (٣٩/١).
(٣) نظم الدرر للبقاعي (٥/١).
(٤) المصدر نفسه، (٨/١).
(٥) سورة الناس: الآية/١.
(٦)نظم الدرر للبقاعي، (٨/١).
(٧) سورة هود: الآية/١.

ومن فوائد هذا العلم أنه يساعد على حل بعض المشكلات في تفسير القرآن وفي هذا يقول الأمام البقاعي: (وبذلك يوقف على الحق في معاني حار فيها المفسرون لتضبيع هذا الباب من غير ارتياب، منها قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾[1]، لآيتين، ومنها قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[2] مع قوله عقبيه: ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] مما تراه ينكشف لك فيما مضى معناه)[4].

وفي فائدته في ترسيخ قضية الإيمان وترسيخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم يقول الإمام البقاعي: (وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين:

---

(١) سورة البقرة: الآية/١٣٣.
(٢) سورة النساء: الآية /٩٥.
(٣) سور النساء: الآية/٩٥.
(٤) نظم الدرر للبقاعي (٨/١).

أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب.
والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب.
والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة ونشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز)[١].

وقد بيّن الدكتور نور الدين عتر فوائد هذا العلم منها:

١- إن معرفة المناسبة للسورة أو الآيات المدروسة مع ما قبلها يساعد على ترجيح بعض الآراء على بعضها الآخر، لأن الآراء إذا تساوت في القوة كان بتناسب الكلام مع بعضه أولى بالترجيح[٢]، وذلك أمر واضح معمول به في مصادر التفسير ومنها التفسير بالمأثور.
٢- الكشف عن مقصد السورة الأساس والمحور الذي تدور حوله معاني السورة في القرآن الكريم، مما جعل علم المناسبات أساساً وركناً في فن جديد من فنون التفسير هو التفسير الموضوعي[٣].

وذلك أن تفسير سورة من القرآن تفسيراً موضوعياً هو أحد قسمي التفسير الموضوعي اللذين ينقسم إليهما هذا اللون من التفسير، وإنما يتوصل إلى ذلك بواسطة علم المناسبات.

وذلك أننا في هذا اللون من التفسير نعمد أولاً إلى تحديد هدف السورة الرئيس أو المحور الذي تدور عليه معاني آياتها، وذلك بأن نبحث عن المعنى الجامع الذي تشترك فيه مقاطع السوره، فيكون هو محورها الأساس ومن هذا نرى أن علم المناسبات أساس في علم التفسير الموضوعي التحليلي لأنه يسهل فهم الآيات ويرجح بيان الآراء، وأنه العمود الفقري للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية لا يُستغنى عنه في هذا اللون من التفسير بحال من الأحوال)[٤].

إذ إن مفهوم التفسير الموضوعي : هو جمع الآيات القرآنية التي تشترك في موضوع واحد، وترتيبها حسب النزول – ما امكن ذلك – والوقوف على اسباب

---

(١) المصدر نفسه (٧/١).
(٢) سيناقش موضوع الترجيح وأثر المناسبة فيه في المبحث السابع من هذا الفصل.
(٣) ممن عد المناسبة بين الآيات اصلاً في منهج التفسير الموضوعي، الدكتور محمد حجازي في كتابه (الوحدة الموضوعية) والدكتور مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي). والفرماوي في كتابه (البداية والنهاية في التفسير الموضوعي)
(٤) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، الدكتور نور الدين عتر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي العدد/١١- لسنة ١٩٩٥.

نزولها، ثم دراستها دراسة تفسيرية وافية وإفرادها بالدرس المنهجي الموضوعي الذي يجليها من جميع نواحيها [١].

لذلك ينبغي على المفسر الموضوعي أن يلتزم دراسة مناسبة آيات الموضوع – الذي يبحثه- للآيات السابقة عليها واللاحقة بها في كل سورة ورد فيها، مستفيداً من ظلال الموضوعات الأخرى في السورة على موضوع البحث منتبهاً لمحور السوره الذي تدور عليه آياتها، متمعناً بمقاصدها، فيعزز موضوعه – ويضفي عليه لطائف وحكم – ويتأكد ‘جاز القرآن الكريم الذي جاء في اعلى طبقات البلاغة.

ومن خلال ما تقدم تعرفنا على أهمية هذا العلم، وأقوال العلماء في فائدته لفهم الآيات وتفسيرها[٢]. وكشف طريق الإعجاز ومع كل ذلك نجد من العلماء من عارض هذا العلم وأنكره مع كثرة الذين اهتموا به وأفردوا له المصنفات[٣].

وهذا ما نتعرف عليه في المبحث الآتي.

---

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد حجازي (ص ٢٥)، دار الكتب الحديثة،١٩٧٠م، البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي (ص٥٢)،ط٢،١٩٨٤م، (د.ط).

(٢) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٧/١).

(٣) ينظر: مراصد المطالع للسيوطي (ص٨٩)

المبحث السادس
علم المناسبة بين المؤيدين والمعارضين

على الرغم من أهمية هذا العلم وفائدته في علم التفسير وفي الترجيح بين المعاني في آيات القرآن الكريم، وقدِم الأهتمام به منذ جيل الصحابة رضي الله عنهم، وأئمة التفسير، والبلاغيين وكتب الإعجاز، حتى عدوه وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم[١]. إلا أن موقف العلماء منه يتأرجح بين مؤيدين ومعارضين.

المؤيدون لوجود المناسبات بين السور والآيات.

تعد مناسبة السور والآيات، وارتباط ما بينها، من وجوه إعجاز القرآن الكريم، والمتدبر لكتاب الله يجد أنه على الرغم من نزوله مفرقاً منجماً، لكنه تم مترابطاً محكماً.

وعلى الرغم من قلة المؤلفات في هذا العلم، إلا إن مصادر التفسير المعتبرة سابقة أو لاحقة، في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي نجد أنها تعني كلها بفن المناسبات... ومن كتب التفسير بالرأي التي تعنى بأسلوب القرآن، مثل مفاتيح الغيب للرازي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، وروح المعاني، ومن كتب التفسير بالمأثور مثل جامع البيان للطبري، وتفسير القرآن لابن كثير، وكتب التفسير بالرأي المختصره، مثل الكشاف للزمخشري، ومدارك التنزيل للنسفي[٢].

فإنَّ المؤيدين لعلم المناسبة هم أئمة التفسير بنوعيه بين مقل ومكثر إضافة إلى العلماء الذين أفردوا له التصانيف[٣]. والعلماء الذين جعلوا له باباً من كتبهم[٤] أو نبهوا على أهميته وبينت أقوالهم في المبحث الثالث من هذا الفصل.

المعارضون لوجود المناسبات بين السور والآيات.

ورد عن بعض العلماء إنكار لهذا الفن، بزعم أنه تكلف محض، وكان من أبرزهم سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، والمفسر محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) في تفسيره فتح القدير.

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام: (وأعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعاً متبرا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيربط أوله بآخره، فإن وقع على

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز للجرجاني، (٩٤)، ومعترك الاقران للسيوطي (٥٠/١).
(٢) ينظر: علم المناسبة وأهميته في التفسير، نور الدين عتر(ص ٨٩-٩٠).
(٣) ينظر: البرهان للزركشي (٣٦/١)، جواهر البيان للغماري (ص١٦)، تناسق الدرر للسيوطي، (ص ٥٤).
(٤) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٦/١).

أسباب مختلفة، لم يشترط فيه أرتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف، لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك، يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ع في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن ربط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع أختلاف العلل والأسباب)[١].

والذي يبدو من كلام عز الدين أنه لم يعارض المناسبة والترابط بين الآيات، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد، وماعدا ذلك فهو يراه أمراً متكلفاً، لكن المصادر والمراجع أثبتت الخلاف الذي حصل بينه وبين معاصريه الذين اهتموا بعلم المناسبة من المفسرين.

ففي ترجمة الحرالي (ت ٦٣٧هـ) تبين أنه: (وقع بينه وبين الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٢] شيء، فطلب عز الدين أن يقف على تفسيره، فلما وقف عليه قال: أين قول مجاهد؟ وأين قول فلان وفلان؟ وكثر القول في هذا المعنى، ثم قال: يخرج من بلادنا إلى وطنه – يعني الشام- فلما بلغ كلامه الشيخ قال: هو يخرج وأقيم أنا. فكان كذلك)[٣].

فكلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام، المتقدم وما وقع بينه وبين المفسر الحرالّي هو دليل على معارضته لهذا العلم وممن أهتم به من معاصريه.

والجدير بالذكر أن أحداً لم يستجب لاعتراضات العز بن عبد السلام، ولقي رأيه معارضة صريحة أو ضمنية، من خلال الرد عليه أو الأهتمام بهذا العلم[٤].

أما المفسر الشوكاني[٥] فقد أنحى باللوم، بل بالتقريع على أئمة التفسير القائلين بالمناسبة، وأطال في الاستدلال لرأيه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى في

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين بن عبد السلام (ص٢٢١)، دار البشائر الإسلامية ط١/١٩٨٧م.

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الشافعي، سلطان العلماء إمام عصره، له اليد الطولى في التصوف، تفقه على ابن عساكر وقرأ الأصول على الشيخ الآمدي، وسمع الحديث من الحافظ أبي محمد القاسم، أصله مغربي ودمشقي المولد، وكان مجتهداً وإمام الشافعية في وقته ومهر في العربية، وكان زاهداً ورعاً. من مصنفاته (مختصر مسلم)، و(المجاز) توفي سنة (٦٦٠هـ)، طبقات المفسرين للداوودي (٣٠٨/١)، طبقات المفسرين للأدنه ووي (ص٢٤٢).

(٣) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقري(٣٣٩/٢)، تحقيق:د.مريم قاسم الطويل، ود.يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٥،.

(٤) ينظر المبحث الثاني في هذا الفصل، حيث بينت اهتمام العلماء الذين عاصروا الإمام عز الدين بعلم المناسبة.

(٥) هو محمد بن علي الشوكاني الخولاني الصنعاني مفسر محدث أصولي فقيه مؤرخ أديب نحوي منطقي، ولد بهجرة شوكان، ونشأ في صنعاء، من مصنفاته (فتح القدير الجامع بين فني

سورة البقرة: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾[1] حيث قال: (إعلم إن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، وفي الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الأنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء، فضلاً عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره حسبما ذكره في خطبه)[2].

وقد ردَّ هذا الرأي العلماء قديماً وحديثاً وخالفوه ووهموا قائليه، وأكدوا وجود المناسبات بين السور والآيات.

يقول الشيخ ولي الدين الملوي في الرد على قول الإمام العز –ويصلح رداً على الآخرين-: (قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبةً سوره كلها وآياتها بالتوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما أنزل مفرقاً بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة[3]).

فكلام الشيخ ولي الدين الملوي رد واضح على من أدعى أن المناسبة لا تطلب بين الآيات بسبب أختلاف النزول عن الترتيب في المصحف، ووهمَ قائليه.

أما الشيخ محمد عبد الله دراز[4] فقد وجه مسألة أختلاف النزول عن الترتيب المصحفي توجيهاً قيّماً حيث قال: (أنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قُدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فُرق أنقاضاً فلم تلبث كل لبنة

الرواية والدراية في التفسير) و(ذيل الأوطار) و(البدر الطالع)، توفي سنة (١٢٥٠هـ)، معجم المؤلفين، كحالة (٥٤١/٣)، الإعلام (٢٩٨/٦).

(١) سورة البقرة من الآية ٤٠.

(٢) فتح القدير للشوكاني (١٠٦/١- ١٠٧)، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث ط١، ١٩٩٣م.

(٣) البرهان (٣٧/١)، الاتقان (٢١٣/٢)، نظم الدرر (٦/١).

(٤) هو محمد بن عبد الله دراز، فقيه متأدب، مصري أز هري كان من هيأة كبار العلماء في الأز هر، له مصنفات منها (الدين)، (النبأ العظيم)، (مدخل إلى القرآن الكريم)، توفي سنة (١٣٧٧هـ) ١٩٥١م، الاعلام (٢٤٦/٦).

من أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة)[1].

أما قول الشوكاني: (أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه)[2].

فقد بينها الإمام الشاطبي[3] في الموافقات فقال: (إن إعمال الرأي في القرآن جاء ذمه، وجاء أيضاً ما يقتضي إعماله، فما كان موافقاً كلام العرب، والكتاب والسنة، فهذا لا يمكن إهماله مثله لعالم بهما، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية، فهذا هو الرأي المذموم المنهي عنه)[4].

وهنا تبين أن أعمال الرأي في القرآن لم يكن منهياً عنه كما قال الشوكاني بل يقتضي أعماله، إذا وافق العربية، والأدلة الشرعية، فالبحث في المناسبة لم يكن بمحض الرأي، ولم يكن منهياً عنه، ولكي لا يتوهم القارئ أن التفسير بالرأي بابه مفتوح على مصراعيه، لها قسم العلماء هذا التفسير على نوعين، تفسير بالرأي جائز إذ كان وفق الضوابط التي وضعها العلماء وتفسير غير جائز، وهذا على خلاف الضوابط وهو منهي عنه بل اعتبره العلماء جسارة على القرآن الكريم.

أما قول الشوكاني: (استغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة)[5] فأقول إن العلماء قديماً وحديثاً بينوا فائدة هذا الفن وأهميته وذلك واضح في كتب التفسير والمصنفات التي أفردت لهذا الفن، ويبرر الشوكاني معارضته لهذا الفن على أن القرآن نزل مفرقاً ولأسباب مختلفة حسب الحوادث فيقول: (وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزوله، منذ نزول الوحي على رسول الله ع إلى أن قبضه الله عز وجل إليه، وكل عاقل فضلاً عن عالم لايشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن مختلفة باعتبار نفسها، بل وقد تكون متناقضة: كتحريم أمر كان حلالاً، وتحليل أمر كان حراماً، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة يكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى، وتارة مع من حضر، وحيناً

---

(١) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز،(ص١٥٥)، طبعة الكويت، ينظر: عظمة القرآن، عبد القادر عطا (ص١٣٢)، دار الكتب ط١٩٨٤،١م، اتجاهات التفسير لمحمد الشريف (ص٣١٨)، دار التراث، ط١٩٨٢/١م، المبادئ الإساسية للمودودي (ص٣٨- ٣٩)، الدار الكويتية ط١٩٦٨/١م.

(٢) فتح القدير (١٠٦/١).

(٣) هو إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، غرناطي الأصل، أصولي حافظ من أئمة المالكية، له مصنفات منها: (المجالس) و(الأفادات والانشادات) و(الموافقات في أصول الفقه) و(أصول النحو) توفي سنة (٧٩٠هـ)، ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (١٨/٥)، والإعلام (٧٥/١).

(٤) الموافقات: (٣/ ٤٢١).

(٥) فتح القدير (١/ ١٠٦-١٠٧).

في عباده، وحينا في معاملة، ووقتاً في ترغيب ووقتاً في ترهيب... وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف ومتباينة هذا التباين الذي يتيسر معه الأتلاف، فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون، والماء والنار، والملاح والحادي)[1].

وقد نقلت نص كلام الشوكاني لتتضح الصورة في شدة المعارضة لهذا الفن وكيف أنه أطنب وأعاد المقال في شرح هذه المعلومة: أن القرآن لم يرتب على حسب النزول، وسوره كانت في مواضع مختلفة وهي قضية واضحة ومسلمة، لكنه رتب عليها قضية غير مسلمة أبداً، بعدم مراعاة المناسبة.

فإن تعدد القضايا في السورة الواحدة لا يمنع من وجود المناسبة بين آيات السورة والوحدة الموضوعية فيها وهذا ما أكده الإمام الشاطبي حيث قال: (غير أن الكلام المنظور فيه، تارة يكون واحداً بكل اعتبار، بمعنى: أنه أنزل في قضية واحدة، طالت أو قصرت، وعليه أكثر سور المفصل. وتارة يكون متعدداً في الاعتبار بمعنى: أنه أنزل في قضايا متعددة، كسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، واقر باسم ربك وأشباهها، ولا علينا أنزلت السورة بكمالها دفعة واحدة، أم نزلت شيئاً بعد شيء، فسورة البقرة مثلاً كلام واحد بأعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال)[2].

وفضلا عما سبق يمكنني القول: بإن التعدد والتنوع في القضايا والأغراض، هو نفسه الدافع إلى تلمس وجه المناسبة بين الآية وجارتها، أما إذا كان المعنى واحداً في آيات السورة، فلماذا نلتمس المناسبة...؟ وهل تعقد المناسبة بين الشيء ونفسه..؟

وإذا قمنا برفض أي علم لأخطاء وقعت فيه، لما بقي لنا علم، ولا تفسير الشوكاني نفسه، لما فيه من (روايات ضعيفة، وموضوعة، يوردها دون أن ينبه عليها)[3].

ثم إن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم وتحداهم أن يأتوا بمثله، وتدرج في التحدي، إلى أن اقتصر التحدي على سورة واحدة: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[4]، لم يقولوا إنه مختلف القضايا والأغراض، لا رابطة

---

(١) فتح القدير (١٠٧/١).

(٢) الموافقات للشاطبي:(٤١٤/٣)، ينظر: النبأ العظيم محمد عبد الله دراز حيث أنه عقد فصلاً بين فيه الوحدة الموضوعية في سورة البقرة، من صفحة ١٦٣ إلى صفحة ٢١١.

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، (٤٨٨/٢).

(٤) سورة البقرة: الآية/٢٣.

تربطهما، ولا سياق يجمعهما، ولو كان في وسعهم –وهم أرباب الفصاحة، وفرسان البيان-، أن يجدوا ثغرة للنفاذ منها مثل ذلك لما ترددوا.

كما أنه من الواضح أن كل من ألف كتاباً مشتملاً على مطالب متفرقة، وقضايا مختلفة، يلاحظ في ترتيبها مناسبة وارتباطا، فكيف بالحكيم المتعال...؟ وقد وصف كتابه العزيز بأنه حكيم ومحكم في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1] وقال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣﴾[2] ولا يتصف الكلام بالحكمة أو الإحكام إلا إذا كان حسن التآلف مع بعضه بعضاً، تام التلاؤم والتناسق.

والغريب في أمر الشوكاني أنه اثنى على البقاعي وعلى تفسيره في موضع آخر فقال : (ومن أمعن النظر في كتاب له في التفسير جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيراً ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز وأرجع الى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي غليلي، وارجع الى هذا الكتاب فأجد ما يفيد)[3].

ومن هذا العرض الموضوعي للرأي المناهض لعلم المناسبات في القرآن الكريم يتبين ضعف الاسباب التي أثارها مانعو المناسبه، وإنه مجرد تخوفات لا محل لها إطلاقاً، ما دمنا نشترط في علم المناسبات مراعاة حسن الربط بعيداً عن التكلف والتعسف ليكون وسيلة من وسائل التعمق في دراسة بيان القرآن ومقاصده واكتشاف دقة ترابطه وتناسقه.

ويؤكد أن المناسبة وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ودليل على ربانية مصدره.

---

(١) سورة هود: الآية/١.

(٢) سورة لقمان: الآيتان، ٢، ٣.

(٣) البدر الطالع (١/٢٠-٢٢).

المبحث السابع
أثر المناسبة في الترجيح بين المعاني

إن من أبرز فوائد المناسبة إنها تعين على التفسير والترجيح بين المعاني وذلك من خلال النظر في النص إلى سابقه ولاحقه، ومناسبة وروده في مكانه، فأنه يعين على فهم النص وتفسيره.

والمتأمل في خطاب المفسرين يدرك أنهم لم يقتصروا على تحديد وسائل فهم الخطاب، وإنما عملوا على إبراز الوسائل التي تساعد على ترجيح معنى دون آخر، وتقوية دلالة على حساب غيرها من الدلالات المحتملة، بل لابدَّ من مراعاة مجموع القرائن، وفي ذلك يقول الآمدي: (دلالات الالفاظ ليست لذواتها، بل هي لقصد المتكلم وإرادته)[١].

ففي أثر المناسبة في الترجيح ما قاله الحارث بن أسد المحاسبي[٢] (ت٢٤٣هـ): (ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالسنة أو الإجماع، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بتلاوة ما يأتي في سورته)[٣].

فقوله (ما يأتي في سورته) يراد منها الآيات اللاحقة للآية فإن لها أثراً في فهم المعاني وتكون وسيلة من عدة وسائل تساعد على التفسير أو الترجيح بين الآراء.

---

(١) الإحكام في أصول الاحكام، الآمدي (١٠٤/١)، دار الفكر، ١٩٨١م.

(٢) هو الإمام الزاهد أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي، علم العارفين في زمانه وأستاذ السائرين، كان من أكابر الصوفية، شيخ الجنيد، يقال: إنما سمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه، له تصانيف في الزهد وأصول الديانات والرد على المعتزلة، توفي سنة (٢٤٣هـ)، ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢١١/٨- ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (١١٠/١٢- ١١٢)، طبقات الشافعية الكبرى (٢٧٥/٢- ٢٨٤)، والأعلام (١٥٣/٢).

(٣) العقل وفهم القرآن، الحارث المحاسبي (ص٤٩٣)، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت ١٩٧١، وينظر: مدخل إلى علوم التفسير والقرآن، د.فاروق حمادة (١٠- ١١)، ط١ دار الثقافة، البيضاء.

وكأنه يريد – والله أعلم- أن ما بعدها يدله على تحرير لفظها بما تدعو اليه المناسبة.

وهذا ما أكده الإمام البقاعي بقوله: (وبذلك يوقف على الحق في معاني حارَ فيها المفسرون لتضييع هذا الباب- أي المناسبة- من غير أرتياب)[١].

ومما يدل على أثر المناسبة في الترجيح ما قاله محمد بن محمد بن سالم المجلسي (أما وجوه الترجيح، فهي اثنا عشر... سادساً: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله وما بعده)[٢].

فالواضح من كلام المجلسي أن الوجه السادس من وجوه الترجيح هو السياق وذلك لكون (السياق هادٍ إلى اختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النص)[٣].

وقوله: (يدل عليه ما قبله وما بعده) هو ما نعنيه بالمناسبة لكونها تقوم بوظيفة الكشف عن وجه ورود المعنى وارتصافه في هذا المكان دون غيره.

وهذا ما عناه الشاطبي في قوله: (فلا محيص للمتفهم من رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وأن ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلّف، فأن فرق في أجزائه، لا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض)[٤].

وقد نبه الإمام الزركشي في قوله: (ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له. وأن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز؛ ولهذا ترى صاحب ((الكشاف)) يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتى كأن غيره مطروح)[٥].

فإن قيل هذا الكلام بخصوص السياق وليست المناسبة؟

أقول: إن السياق والمناسبة بينهما علاقة تكاملية إذ إن:

(وظيفة السياق: الكشف عن تتابع وانتظام المعاني، ووظيفة علم المناسبة: الكشف عن وجه ورود هذا المعنى وإرتصافه في هذا المكان دون غيره، وبيان اللحمة والأئتلاف والترابط بين عناصر السياق)[٦].

---

(١) نظم الدرر (٨/١).

(٢) الريان في تفسير القرآن مخطوط: ١٥- ١٦، نقلاً عن الدراسات القرآنية في المغرب العربي في القرن الرابع الهجري) رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية، الوافي إبراهيم(ص١٤٨)، كلية الأداب الرباط.

(٣) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، للدكتور محمد حسن حبنكه الميداني (ص٣١٩)، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٨٩م.

(٤) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (٤١٣/٣- ٤١٤) تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

(٥) البرهان (٣١٧/١).

(٦) نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية، د.المثنى عبد الفتاح محمود (ص٤٠)، دار وائل للنشر، عمان الاردن، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

أصبحت وظيفة كل منهما واضحة وأقوال العلماء في ترجيح السياق أو المناسبة في فهم النص القرآني وعدّه أحد الأوجه في الترجيح.

وكان الإمام محمد عبده[١] -رحمه الله- يعتمد المناسبة سبباً في الترجيح[٢].

حيث لخص قاعدة الترجيح في قوله: (إن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سيق له من القول، وأتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء به الكتاب جملة)[٣].

وبعد هذا العرض لأقوال العلماء في أثر المناسبة وأهميتها في فهم دلالة النص أولاً، والترجيح بين الآراء ثانياً، وللدليل على ما قدمناه نسوق النماذج الأتية:

النموذج الأول: الحصور: العنة أم العفّة الخلقية؟

وصف القرآن الكريم يحيى بن زكريا عليهما السلام بأوصاف جليلة، وذلك في قوله أخباراً عن زكريا: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٤].

واختلف المفسرون في دلالة (الحصور) فقد أنتهى الطبري إلى أنها تدل على الذي (لا يأتي النساء) أو (لا يقرب النساء) أو (الذي ليس له ماء)[٥].

مستنداً في ذلك إلى ما ورد عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، وقتادة وغيرهم، ولم يُشر إلى المعنى الثاني الذي ذهب إليه آخرون.

ونجد عند الإمام القرطبي[٦] عرضاً لدلالتين مختلفتين، وقد رجح الإمام أحدهما لاعتبارات تتصل بالسياق ومناسبة ورود لفظة (الحصور) في مكانها من الآية.

---

(١) هو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني، ولد في (شنرا) ونشأ في (محلة نصر)، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم الأزهر، كان من كبار رجال الأصلاح والتجديد في الإسلام، لما أحتل الإنكليز مصر ناوأهم فسجن ونفى إلى بلاد الشام ثم سافر إلى باريس والتقى بالأفغاني ثم عاد إلى مصر سنة (١٣٠٦هـ) وتقلد افتاء مصر، وتوفي في الإسكندرية ودفن في القاهرة سنة (١٣٢٣هـ- ١٩٠٦م)، له كتب منها: (رسالة التوحيد)، (شرح نهج البلاغة)، ينظر: الإعلام (٢٥٢/٦).

(٢) منهج الإمام محمد عبده، عبد الله شحاته (ص٣٥)، نشر الرسائل الجامعية بالقاهرة ط١٩٨٤.

(٣) تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا (٢٢/١).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٣٩).

(٥) جامع البيان (٢٥٥/٣- ٢٥٦)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢.

(٦) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي، ولد في قرطبة ونشأ فيها، ثم غادر إلى اشبيلة بعد سقوطها على أيدي المسيحين سنة ٦٣٣هـ، وبعد مدة غادر الأندلس كلها إلى مصر، له مؤلفات كثيرة منها (الأسنى في شرح اسماء الله الحسنى)،

فقد ذكر أولاً المعنى السابق، ثم ثنى بالدلالة التي استمدها من علماء آخرين، ومفادها أن الحصور هو الذي يكفُّ عن النساء ولا يقربهن مع القدرة، ونسب هذا التفسير إلى ابن مسعود وابن عباس وابن جبير وقتادة وعطاء والحسن والسدي وابن زيد، ورجح القرطبي الدلالة الثانية، وعلل ترجيحه بقوله: (وهذا أصح الأقوال لوجهين: أحدهما أنه مدحٌ وثناء عليه، والثناء إنما يكون في النقل المكتسب دون الجبلة في الغالب، والثاني أن نعول في اللغة من صيغ الفاعلين كما قال:

ضــــروبٌ بنصـــلِ الســـيف ســـوقَ ســـمانها.

إذا عزمـــــــوا زاداً فأنـــــــك عـــــــاقرُ.

فالمعنى أنه يحصر نفسه عن الشهوات، ولعل هذا كان شرعه)[1].

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: (وذكر هذه الصفة في أثناء صفات المدح إمّا أن يكون مدحاً له، لما تستلزمه هذه الصفة من البعد عن الشهوات المحرمة، بأصل الخلقة، ولعلّ ذلك لمراعاة براءته مما يلصقه أهل البهتان ببعض أهل الزهد من التهم، وقد كان اليهود في عصره في أشدّ البهتان والأختلاف)[2].

(وقد كنا نتمنى من الإمام الطبري أن يلتفت إلى هذه الدلالة الراجحة، ويدعمها بما عرف عنه من ذوق في إدراك معنى الآية والترجيح بين الأقاويل المختلفة وليته كان سابقاً إلى ما ذهب إليه الراغب الأصفهاني)[3].

فيقول الأصفهاني (فالحصور الذي لا يأتي النساء إما من العنّة، وإما من العفّة والاجتهاد في إزالة الشهوة، والثاني أظهر في الآية: لأنه بذلك يستحق المحمدة)[4].

(التذكار في أفضل الأذكار) توفي في مصر سنة (٦٧١ هـ)، ينظر: شذرات الذهب (٣/٣٣٥)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص٢٤٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٤/٧٨).والبيت هو من قصيدة لابي طاالب عم الذبي ع ضمن ديوان شيخ الاباطح. ينظر: الملل في شرح ابيات الجمل، ابو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، تحقيق محي مراد (١/٢١) دار الكتب العلمية – بيروت، البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حنبكه الميداني (١/٢٥٢)، دار القلم، دمشق ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣/٢٤١) للطاهر ابن عاشور، دار سحنون، مؤنس.

(٣) الوظيفة التترجيحية للسياق عند المفسرين، د.محمد أقبال (ص١١)، مجلة آفاق للثقافة والتراث، العدد/٣٥، لسنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

(٤) مفردات الفاظ القرآن الكريم، للأصفهاني (٢٣٨- ٢٣٩)، تح: صفوان عدنان داودي ط١، دار القلم ١٩٩٢.

النموذج الثاني: المطالبون بكف أيديهم: الصحابة أم المنافقون؟

يقول الله تعالى: چ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [1]. ولاشك أن المفسر سيتساءل عن هؤلاء الذين طولبوا بكف أيديهم، ومن هنا ينشأ الخلاف. يقول ابن جزيّ (وقيل هي في قوم من الصحابة كانوا أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أمروا به كرهوه، لا شكاً في دينهم ولكن خوفاً من الموت، وقيل هي في المنافقين)[2].

ثم رجحّ القول الثاني لأنه (أليق بسياق الكلام)[3].

ولعل استحضار سياق الآية يكشف عن بعض الأمور التي جعلت ابن جزيّء[4] يرجح الدلالة الثانية، فقد ورد قبل الآية السالفة قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [5] فـ(من) في (منكم) يراد بها المنافقون وهو نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين)[6].

---

(١) سورة النساء: الآية/٧٧.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، (١٤٨/١).
(٣) المرجع نفسه (١٤٨/١).
(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزئ، من أهل غرناطة، فقيه أصولي لغوي مالكي المذهب، من مصنفاته: (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية) و(وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم) وهو المفسر الشهيد، توفي سنة (٧٤٢ هـ)، ينظر: طبقات المفسرين للداوودي: (٨١/٢)، الأعلام (٢٤٥/٥).
(٥) سورة النساء الآية/٧٢، ٧٣.
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (١٤٨/١).

النموذج الثالث: الخلف الذين أضاعوا الصلاة بين الترك والتأخير

وقف بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴾[1].

(وفسروها تفسيرين اثنين: أولهما تأخيرها عن مواقيتها، وثانيهما تركها أصلاً، لكن الإمام الطبري رجحّ الدلالة الثانية لاعتبارات سياقية)[2].

وقال: (وأولى التأولين في ذلك عندي بتأويل الآية قول من قال: إضاعتهم إياها تركهم إياها، لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أنَّ ذلك كذلك، وذلك قوله جل ثناؤه: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾[3] فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيّعوها مؤمنين لم يستثنِ منهم من آمن وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفاراً لا يصلّون لله ولا يؤدون له فريضة)[4]. وقد رجحّ الزمخشري، هو الآخر، الدلالة الثانية، وعدَّ (أنّ ذلك يؤيده لاحق الآية، لأنها في الكفار)[5].

---

(١) سورة مريم من الآية/٥٩.
(٢) الوظيفة الترجيحية للسياق (ص١٣).
(٣) سورة مريم من الآية/٦٠.
(٤) جامع البيان (٨/٣٥٥).
(٥) الكشاف (٢/٥١٤).

النموذج الرابع : أسفل سافلين : الهرم أم سوء العاقبة ؟

في سورة التين ورد قوله تعالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [1].

وباستقراء كتب التفسير، يلحظ الدارس أنّ المفسرين قدموا لقوله تعالى: (ثۃ ثۃ) الدلالتين الآتيتين :

- الهرم والشيخوخة، وأرذل العمر (ابن عباس، عكرمة، قتادة، ابو العالية، مجاهد)
- النار (قتادة، ابن زيد) [2]

والجدير بالذكر، أن الطبري رجّح القول الاول، فقال : (وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب في ذلك) [3]

ونظراً لتردد دلالة الآية بين هذين المحملين، انتهى القرطبي الى تجويزهما معاً، خاتماً كلاماً بقوله: (والاستثناء، على قول من قال (اسفل سافلين): النار، متصل، ومن قال إنه الهرم، فهو منقطع) [4]، وبه قال كثير من المفسرين مثل ابي حيان في البحر المحيط [5]، وابن جزي في التسهيل [6].

وقد اهتدى بعض المفسرين الى تجاوز هذا السياق القريب، والالتفات الى سياق ابعد، ونظروا في سورة التين على ضوء علاقتها بسورة الشرح الواردة قبلها، وقد بين السيوطي فيما ينقله عن بعض شيوخه قائلاً : (أن معناها : لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً، ثم رددناه اسفل سافلين نفساً وهوى)[7]، وهذا يعني ان التفسير متجه نحو الاحسنية في الخَلق والعقل والاسفلية في الخلق والسلوك، ولا تعلق لها بالهيئة والهرم، ومن ثم فقد بحث السيوطي في وجه مناسبة ايراد سورة (التين) عقب سورة (الشرح) فظهر له ان سورة (الشرح) اخبر فيها عن شرح صدر النبي ع.وذلك يستدعي كمال عقله وروحه، فكلاهما في القلب الذي محله الصدر، وعن خلاصة الوزر الذي ينشأ عن النفس والهوى، وهومعصوم منهما، فلما كانت

---

(١) سورة التين الآيات (١-٦).
(٢) جامع البيان (١٢/ ٦٣٧-٦٣٨)
(٣) المصدر نفسه (١٢/ ٦٣٩)
(٤) الجامع لاحكام القرآن (١١٥/٢٠)
(٥) البحر المحيط (٤٩٠/٨)
(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٠٧)
(٧) تناسق الدرر (ص ١٤٠)

هذه السورة في هذا العلم الفرد من الانسان، اعقبها بسورة مشتملة على بقية الأَناسي وذكر ما خامرهم في متابعة النفس والهوى) [1].

وبهذا النموذج يتضح لنا دور المناسبة وأثرها لم يقتصر على مناسبات الآيات داخل السورة في السياق القريب بل يتعداه الى مناسبة السورة مع السور التي قبلها في الترجيح والتفسير

إن ما قدمناه من نماذج إنما كان لهدف واحد وهو أثر المناسبة في القيام بمهمة الترجيح بين الأقوال. وبأعتبارها أحد الوجوه التي اعتبرها أئمة التفسير في مهمة الترجيح.

(١) المصدر نفسه (ص ١٤٠)

المبحث الثامن
المناسبة وجه من وجوه الإعجاز

لقد خلق الله الخلق لعبادته وأرسل فيهم رسلاً مبشرين ومنذرين، يدعونهم إلى عبادته ويهدونهم إلى صراطه المستقيم، وأيّدهم بمعجزات تدل على صدقهم، وكانت معجزة سيدنا رسول الله ع الداعي إلى الله السراج المنير –القرآن الكريم.

ولما كان مبنى الإيمان على التصديق والتسليم، بأن سيدنا محمداً ع رسولٌ من الله وخاتم النبيين والمرسلين، قد تدافع سادتنا العلماء وتسابقوا للكشف عن سر إعجاز القرآن الكريم وبيان حقيقته للناس أجمعين، فسطروا في ذلك الكتب كاشفين، موضحين.

ولست في هذه –العجالة- موضحاً لوجوه إعجاز القرآن الكريم، مبيناً أقوال السادة العلماء فيه، فهو بحر لا ساحل له، في عمقه الجواهر الثمينة لا يغوص فيه إلا صاحب علم وحجة ومنطق وروية، إذ إن أمواجه مخيفة، تسكن لصاحب العلم فيغوصه مستخرجاً، وتتلاطم لغيره فتلفظه بعيداً، فإما يستسلم للحق وإما يكابر بغير حق.

فلا أتطرق إلا لما يلزم هذه الدراسة ويقف على المراد فأقول: لقد جاء القرآن بحروف عربية يعرفها العرب، تجري على ألسنتهم، إلا أنه بنظم لم يعهدوه في كلامهم، بل هو نقض لما اعتادوه فعجزوا عنه، وانقطعت الحيل دونه.

نعم إن نظم القرآن غير مألوف يعجز الخلق عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله[١]، فتجد السورة منه تنتقل بقارئها من معنى إلى آخر ومن فن إلى فن بأعلى درجات النظم حسناً وأرقى طبقات البلاغة بهاءً[٢].

وفي ذلك تضافرت أقوال العلماء –رحمهم الله- في أن إعجاز القرآن في نظمه.

يقول الإمام الباقلاني في كلامه عن الوجه الثالث عن وجه الإعجاز: (ومعنى رابع: هو أن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً في الفصل والوصل، والعلو والنزول

---

(١) للاستزادة من هذه المعاني يراجع كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز، كتابي (بيان إعجاز القرآن) للخطابي، و(النكت في إعجاز القرآن) للرماني، و(الرسالة الشافية) للجرجاني.

(٢) يقول الدكتور محمد دراز: (ولا عجب أنه مع كونه أكثر الكلام أفتتاناً وتنويعاً في الموضوعات هو أكثر أفتتاناً وتلويناً في الأسلوب في الموضوع الواحد... ألا تراه كما ينتقل في السورة الواحدة من معنى إلى معنى ينتقل في المعنى الواحد بين إنشاء وخبر.... إلى غير ذلك من طرق الأداء). النبأ العظيم، (ص١١٤).

والتقريب والتبعيد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع، أَلا ترى كثيراً من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره والخروج من باب إلى سواه... على أن القرآن على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب تتبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج به الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف)[١].

وهذا النظم العجيب عدّه الزمخشري الوجه المعجز الاساس حيث يقول (النظم هو أم الاعجاز القرآني، والقانون الذي وقع عليه التحدي، مراعاته أهم ما يجب على المفسر) [٢].

ومما يزيد الأمر وضوحاً في أن ما عناه العلماء من نظم القرآن هو –علم المناسبة- ولاسيما عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم القرآني عنده، هو ما بيّنه الخطيب جلال الدين القزويني في أنّ (ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للأعتبار المناسب، وأنحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم). [٣]

إذاً فالقول بمطابقة المقال لمقتضى الحال هو نظرية النظم القرآني التي استدل بها الشيخ عبد القاهر الجرجاني على إعجاز القرآن[٤]. والذي يعد مؤسس نظرية النظم في الاعجاز، أو ما يسمى النظرية الجرجانية. [٥]

اذ ان النظم هو الترتيب الذي كان لكمات القرآن في جملها من جهه واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الآيات في السورة [٦]

وفي المقابل نجد أن الإمام البقاعي يعرف علم المناسبة بأنه (علم تعرف به علل ترتيب اجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما أقتضاه الحال)[٧].

---

(١) إعجاز القرآن، الباقلاني (ص٨٩).
(٢) الكشاف (٢٤/٢).
(٣) الايضاح (ص٩)، التلخيص (ص ٣٣-٣٥).
(٤) في كتابه: دلائل الإعجاز، حيث أطال النفس في شرح نظرية النظم القرآني في معظم فصول كتابه.
(٥) علم الاعجاز بين الفن والتاريخ، د. خليل رجب حمدان الكبيسي (ص٤٢)، دار عبادي للنشر، اليمن.
(٦) ينظر:إتقان البرهان في علوم القرآن،د. فضل حسن عباس (١١٣/١)،دار الفرقان ط١٩٩٧،١م
(٧) مصاعد النظر: (٤٢/١).

فأصبح واضحاً أن ما عناه العلماء في إن إعجاز القرآن في نظمه –مع وجود وجوه أخرى في إعجازه- إلا أنها المسألة المهمة التي ركزوا عليها في إعجازه، هي ما تسمى بعلم المناسبة عند العلماء الذين جاءوا بعدهم.

ومما يؤكد ذلك كلام الزركشي حيث يقول: (وفائدته –أي علم المناسبات- جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، لأنها مصححة لنظم الكلام)[١].

ومن عجيب نظم كتاب الله عز وجل، أنك تجد السورة القرآنية تنزل نجوماً، وربما في أزمان متباعدة في ظروف مختلفة، وحسب وقائع ودواع متجددة، ومع كل هذه الأسباب، تجد آيات السورة متسقة متناسبة محكمة البناء، حتى لتظن أنها نزلت مرة واحدة، بل إن هذا الظن ليتبادر لك في القرآن[٢] في تناسب آياته وسوره كأنه نزل جملة واحدة ولم يفرق في نيف وعشرين سنة**!!!**

يقول الإمام الزركشي: (وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها مع الآي رعاية لنظم القرآن وحُسن السياق)[٣].

ويقول الدكتور دراز: (فإن كنت قد أعجبك من القرآن نظام تأليفه البياني في القطعة منه، حيث الموضوع واحد بطبيعته، فهلم إلى النظر في السورة منه، حيث الموضوعات شتى والظروف متفاوتة لترى من هذا النظام ما هو أدخل في الإعجاب والإعجاز....

... أولست تعلم أن القرآن –في جل أمره- ما كان ينزل بهذه المعاني المختلفة جملة واحدة، بل كان ينزل بها آحاداً مفرقة على حسب الوقائع والدواعي المتجددة، وأن هذا الانفصال الزماني بينها والاختلاف الذاتي بين دواعيها كان بطبيعته مستتبعاً لانفصال الحديث عنها ضرب من الاستقلال والاستئناف لا يدع بينها منزع للتواصل؟

ألم يكن هذان السببان قوتين متضافرتين على تفكيك وحدة الكلام وتقطيع أوصاله إذا أريد نظم طائفة من تلك الأحاديث في سلك واحد تحت اسم سورة واحدة؟... وسبب ثالث كان أجدر أن يزيد نظم السورة تفكيكاً ووحدتها تمزيقاً، ذلك هو الطريقة التي اتبعت في ضم نجوم القرآن إلى بعضها وفي تأليف وحدات السور في تلك النجوم... نعم لقد كان للنجوم القرآنية في تنزيلها وترتيبها ظاهرتان مختلفتان،

---

(١) البرهان (٣٦/١).

(٢) يقول الزركشي في معرض كلامه عن المناسبة (وإذا ثبت هذا بالنسبة للسور، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض، بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة). البرهان (٣٩/١)

(٣) البرهان (٣٠/١).

وسببان قلمّا يلتقيان. ولقد خَلَصَ لنا من بين اختلافهما أكبر العبر في أمر هذا النظم القرآني)[1].

وفي عّده المناسبة وجهاً من وجوه الإعجاز يقول: (إذا كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية (معجزات) ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات)[2].

والملاحظ في كلام الدكتور درّاز أَن القرآن فيه كثير من المعجزات، لكن المساحة الأكبر في الإعجاز هو في نظمه لأنه يشمل كل القرآن من أوله إلى آخره، فإن آيات التشريع والنبوءات والحقائق العلمية لم تكن بتلك المساحة التي تتمثل في النظم القرآني.

فهذه الأقوال تؤكد أن الترابط والتناسب بين الآيات القرآنية التي تعددت موضوعاتها، وبين السور التي رتبت ولاءً في المصحف لمناسبة فيما بينها، هو وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، بل هو الوجه المعجز الأساس.

ولما كانت الغاية الأولى والمقصد الأسمى من إنزال القرآن إقامة الحجة والدليل على صدق سيدنا رسول الله ع فيما أدعاه، كان على المفسر أن يظهر أوجه إعجاز القرآن في تفسيره، فيكشف عن جواهر بيانه، ولآليء بلاغته، وفصاحة ألفاظه، ودقة تعبيره، وحسن تناسب آياته، وتناسق تراكيبه، وقوة سبكه ونظمه، فيتحقق بذلك اليقين بأنه كلام الله المعجز[3]، والذي جاء به مرسلٌ من ربه، ويزداد الإيمان وتستعد النفس للاستجابة، وتتحقق واقعية الهداية ومصداقيتها.

فهذا الذي قدمت من ضرورة إظهار وجوه إعجاز القرآن وفي أثناء التفسير له ما يعضده من جهود المفسرين، فقد نقل الإمام الزركشي عن الإمام الزمخشري قوله: (من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهدُ النظم والبلاغة على مراحل)[4]، وفي مقدمة

---

(١) النبأ العظيم (١٤٤- ١٤٦).

(٢) النبأ العظيم (ص٢١١).

(٣) يقول الإمام البقاعي: (وبهذا العلم –المناسبات- يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب تركيبها، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل عند سماعه روعة ونشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى نظم عنده موقع الإعجاز). نظم الدرر (٧/١).

(٤) البرهان (٤٢١/١).

تفسيره بيّن الشروط التي يجب أن تتحقق في المفسر وأهمها أن يكون (قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونه، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانها همه في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله...)[1].

فإن المفسر الذي يُعنى بإظهار وجه الإعجاز في نظم القرآن الكريم، يكون قد فند ما يثيره المستشرقون[2] على القرآن الكريم ومنها ما أثاروه حول نظم القرآن وترتيبه، إذ زعموا أنه لم يأت على سنن الكتب الوضعية فليس له مقدمة ولا فصول ولا خاتمة، وإنما هو آيات مجتمعة ذات مقاصد متعددة فتأتي آية وعظ تتلوها آية جهاد تتبعها آية فقه بعدها قصة رسول، فهو نص مفكك، والرد على هذه الشبهة يكون ببيان تناسب السور والآيات في أثناء التفسير لكتاب الله عز وجل فيُلجموا بالحجة.

وبهذا العرض لأقوال العلماء في أن المناسبة وجه من وجوه الإعجاز تصبح دليلاً ضد المستشرقين الذين أثاروا الشبهات ضد القرآن الكريم، نرد بها عليهم ونفّند زعمهم فيما أدعوه.

---

(١) الكشاف (٧/١).

(٢) زعم هذا من المستشرقين (دوزي الهولندي) و(كارليل الانجليزي) و(نولدكه) في كتابه (تاريخ القرآن) وتبنى الأمر من بعده (جولد تسهير) في كتابه (مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة عبد الحليم النجار، بيروت، دار أقرأ، ط٣،١٩٨٥م) و(العقيدة والشريعة في الإسلام،، ترجمة محمد يوسف موسى واخرون، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط١، ١٩٤٦م)، ينظر: الإعجاز البياني، محمد القاسم (٥٠٢).

فائدة: وقد لخص الدكتور دراز موقف المستشرقين من ترتيب الآيات القرآنية فيقول: (يجب أن نركز على نقطة غفل عنها جميع المستشرقين فضلاً عن علماء المسلمين، وهي طريقة القرآن الكريم في معالجة أكثر من موضوع في السورة الواحدة، فعندما لاحظ بعضهم بنظرته السطحية، عدم توافر التجانس والربط الطبيعي بين الموارد التي تناولها السورة، لم ير في القرآن في جملته، إلا شتاتاً من الأفكار المتنوعة، عولجت بطريقة غير منتظمة، وبدون أي ربط منطقي بينهما، بينما رأي البعض الآخر أن علة هذا التشتيت المزعوم ترجع إلى الحاجة إلى تخفيف الملل الناتج عن رتابة الأسلوب والحزن المترتب على تكرار النغمة فيما يتنافى مع المثالية في الأسلوب العربي، وهناك فريق آخر لم يرَ في الوحدة الأدبية لكل سورة –و هو ما يستحيل نقله في أي ترجمة- إلا نوعاً من التعويض لهذا النقص الجوهري في هذا المعنى. وفريق آخر يضم غالبية المستشرقين رأى أن هذا العيب يرجع إلى الصحابة الذين جمعوا القرآن وقاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه ورتبوها على شكل سور ثم عقب قليلاً: إن هذه التفسيرات لا تبدو صالحة للأخذ بها، فالسنة والأثر الصحيح متفقان على أن السور كانت بالشكل الذي تقرأ بها اليوم وتركيبها الحالي منذ حياة الرسول ع.

(مدخل إلى القرآن- دراز (ص١١٨- ١١٩) دار القلم ط٣، ١٩٨١م، وللاستزادة في معرفة شبهات المستشرقين والرد عليها يرجع إلى كتاب الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، محمد القاسم.

المبحث التاسع
ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره

نزلَ القرآن الكريم منجماً في ثلاثة وعشرين عاماً تقريباً، وكان نزوله ملائماً للوقائع والأحوال التي مرت فيها الدعوة الإسلامية، ومراعياً ما يتطلبه الزمن الذي نزل فيه، لذا يختلف ترتيب القرآن الكريم في النزول، عن ترتيبه في المصحف اختلافاً كبيراً، ومنشأ هذا الاختلاف هو أختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين. (فهو في ترتيبه النزولي منهج لتأسيس دعوة، وأسلوب إقناع بعقيدة، وطريقة تبشير وإنذار، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة، وبناء حضارة، ودستور للعالم كله، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحكم ترتيبه من هذه الوجهه، ليكون هداية للمؤمنين)[١]. ثم إن التسلسل الزماني وإن ضمّ موضوعات متقاربة أحياناً، فإنه كثيراً ما يحمل ما أختلف من الموضوعات التي يصعب أن يربطها ناظم، لذا راعى القرآن في تسلسل نصوصه أن يقارب بين أفرادها، فحصل فيه التناسب من أصغر وحداته إلى أكبرها. ولو أنه جمع ورتب على حسب ترتيب نزوله، (لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحوادثها، أو أنه حلول وقتية للمشكلات التي كانت على عهد الرسول ع فحسب، والله تعالى يريد كتابه عاماً خالداً لا يختص بعصر دون عصر، ولا قوم دون قوم، لذلك اقتضت الحكمة أن يرتب ترتيباً يحقق هذا العموم، وهذا الخلود، ويبتعد عن الترتيب الزمني الذي نزل به، لحكمة كانت مناسبة حين نزوله)[٢].

وهذا التفريق في النزول، يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم كلام الله العزيز الحكيم، وليس كلام بشر على الإطلاق، وأن عقلاً بشرياً مهما أوتي من القوة والحفظ والإحكام، لا يستطيع أن يذكر موضع فقرة من كلام سابق مضى عليه سنوات، فيضعها في مكانها، بحيث تلتحم وتتوائم مع سابقتها، ولاحقتها في اللفظ والمعنى، ولا يتأتى ذلك لو لم يكن ترتيب السور توقيفياً، كما هو الحال في ترتيب الآيات[٣].

أولاً: آراء العلماء في ترتيب الآيات.

---

(١) تناسق الدرر (ص١٣- ١٤) مقدمة التحقيق.

(٢) المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، محمد المدني (ص٢٠)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٣) ينظر: تناسق الدرر (ص٤) مقدمة التحقيق.

ترتيب الآيات في سورها توقيفي ثابت بالوحي، وبأمر رسول الله ع، وكانت الآيات تنزل عليه، ويأمر كتاب الوحي بوضعها في مكانها من السور بتبليغ من جبريل –عليه السلام- وقد تواترت النصوص على كون ترتيب الآيات توقيفياً[١].

ونقل الإجماع على ذلك كثير من العلماء: منهم الإمام ابن الزبير الغرناطي، حيث قال: (اعلم أولاً أن ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه ع وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين)[٢]. والإمام الزركشي، حيث قال: (فأما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة في أوائلها، فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه، وقال مكي: ترتيب الآيات في السور، ووضع البسملة في الأوائل، هو من النبي ع، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة، تركت بلا بسملة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم)[٣].

وعليه فإن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر باثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو الذي بين الدفتين الذي حواه المصحف وانه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخرّ ولا أخر منه فقدّم، وإن الأمة ضبطت عن النبي ع ترتيب آي كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة [٤].

ترتيب السور

إذا كان الأمر بالنسبة لترتيب الآيات في المصحف موضع اتفاق بين العلماء في كونه من الشارع وبتوقيف منه ع، فإن الأمر يختلف في مسألة ترتيب السور، حيث تعددت آراء العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

- **القول الأول**: إن ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصاحف، كان باجتهاد من الصحابة، فقد بين ابن الزبير الغرناطي والزركشي والسيوطي بأن القائلين بهذا الرأي هم جمهور العلماء منهم: الإمام مالك، والقاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني في أحد قوليه فيما اعتمده واستقر عليه رأيه[٥]. ويستدلون على مذهبهم هذا بترتيب مصاحف بعض

---

(١) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (١٢٥/٨)، (٣٢/٩)، المطبعة السلفية، القاهرة، الإتقان (١٩٥/١).

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن (ص١٨٢).

(٣) البرهان (١٨٠/١)، ينظر: الاتقان (١٩٦/١)، حيث بين أن كلام الباقلاني المذكور من كتابه الانتصار.

(٤) ينظر: الإتقان (١٧٠/١).

(٥) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن (ص١٨١)، البرهان (١٨٢/١)، الاتقان (١٩٧/١).

الصحابة، على خلاف ترتيب مصحف عثمان، كمصحف الإمام علي، وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب – رضي الله عنهم أجمعين-[١].

- **القول الثاني**: إن ترتيب السور كان بعضه بالتوقيف، وبعضه الآخر باجتهاد من الصحابة. قال أبو الحسين أحمد بن فارس: (جمع القرآن على ضربين: أحدهما: تأليف السور، كتقديم السبع الطوال، وتعقيبها بالمئين، فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة –رضي الله عنهم- وأما الجمع الآخر: فضم الآي بعضها إلى بعض، وتعقيب القصة بالقصة، فذلك شيء تولاه رسول الله ع كما أخبر به جبريل عن أمر ربه –عز وجل-)[٢].
ومال ابن عطية إلى هذا الرأي[٣].
وذهب البيهقي في المدخل، إلى أن القرآن كان على عهد النبي ع توقيفي إلا الانفال وبراءة[٤].
وتابعه السيوطي على ذلك فقال: (والذي ينشرح إليه الصدر، ما ذهب إليه البيهقي، وهو: أن جميع السور توقيفي إلا براءة والأنفال)[٥].
وقد رد الشيخ محمد عبده على مذهب السيوطي والبيهقي قبله بقوله: (أنه لا يعقل أن يرتب النبي ع جميع السور إلا الانفال وبراءة، وقد صح أنه ع، كان يتلو القرآن كله في رمضان على جبريل عليه السلام واحدة من كل عام، فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه بالقرآن مرتين، فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته؟ التحقيق أن وضعها في موضعها توقيفي وأن فات عثمان أو نسيه، ولولا ذلك لعارضه الجمهور أو ناقشوه عند كتابة القرآن)[٦].

- **القول الثالث**: وذهب إليه جمع من العلماء غير الجمهور: وهو أن ترتيب السور كما هو في المصحف إنما كان من الشارع وبتوقيف منه لا فرق في ذلك بين ترتيب الآيات والسور، وأن الصحابة حينما خافوا ذهاب بعض القرآن باستشهاد حفظته، جمعوه، وكتبوه، كما سمعوه من النبي ع ولم يقدموا أو يؤخروا شيئاً، واقتصر عملهم على جمع القرآن في موضع

---

(١) ينظر: البرهان (١٨٣/١)، وقد بين السيوطي تأليف مصحف أُبيّ ومصحف عبد الله بن مسعود، ينظر: الاتقان (٢٠٢/١- ٢٠٣).
(٢) ينظر: البرهان (١٨٢/١).
(٣) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن (ص ١٨٢) البرهان (١٨١/١).
(٤) ينظر: الاتقان (١٩٨/١).
(٥) الإتقان (٢٠٠/١).
(٦) تفسير المنار (٥٣٩/٩- ٥٤٠).

واحد، دون التعرض لترتيب سوره، إلا وفق ما سمعوه من رسول الله ع، على هذا النسق والترتيب[١].

وبمثل ذلك قال ابو جعفر النحاس، ومحمد بن حمزة بن نصر الكرماني، وأبو بكر الأنباري[٢] والطيبي وابن الحصار[٣].

الرأي المختار: إذا كانت مسألة ترتيب القرآن قد اختلفت فيها الآراء، فذهب بعضهم إلى أنه اجتهادي من الصحابة مستندين في ذلك إلى اختلاف ترتيب مصاحف بعض الصحابة، وذهب آخرون إلى أن دائرة الخلاف ضيقه وأن ما يمكن أن يجري فيه الخلاف سور معدودة، بل هناك من حصره في الأنفال وبراءة، بينما ذهب فريق ثالث إلى أن ترتيب السور في المصحف بتوقيف من النبي ع.

فإن المختار من هذه الأقوال: أن تأليف السور على هذا الترتيب الذي عليه المصحف توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه، وذلك للأمور التالية:

١- إن استدلال أصحاب الرأي الأول باختلاف مصاحف الصحابة، لم يكن حجة على أن ترتيب السور في المصحف اجتهادياً، لأن مصحف عثمان –رضي الله عنه- لو كان اجتهادياً لما وافقوه على ذلك، ثم إن مصاحف الصحابة كانت خاصة بهم، جمعت إلى القرآن بعض مسائل العلم، وبعض المأثورات، فهي إلى كتب العلم أقرب منها إلى المصاحف المجردة، ومن هنا فقد عدلوا جميعاً عن هذه المصاحف، وساروا على ما سار عليه الصحابة جميعاً، وبهذا أظهر ضعف حجة هذا القول، ويؤكد الآلوسي ذلك بقوله:وبالحملة بعد إجماع الأمة على هذا المصحف، لاينبغي أن يصاخ الى آحاد الاخبار ولا يشرأب إلى تطلع غرائب الآثار)[٤].

٢- إن ما ذهب إليه البيهقي، والسيوطي، بأن ترتيب السور توقيفي باستثناء سورتي الانفال، وبراءة، فقد رده الشيخ محمد عبده كما بينت في القول الثاني من أقوال العلماء، ومن ثم إن الإمام السيوطي يستدل على أن ترتيب السور توقيفي حيث يقول: (ومما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص)[٥].

---

(١) ينظر: البرهان (١٨٣/١).
(٢) البرهان (١٨٢/١- ١٨٣).
(٣) الإتقان (١٩٨/١- ١٩٩).
(٤) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (٢٧/١).
(٥) الإتقان (١٩٩/١- ٢٠٠).

فإن هذا الاستدلال يدعم القول بأن ترتيب السور توقيفي، وليس اجتهادي فضلاً عن آراء العلماء التي بينتها في القول الثالث.

٣- أجمعت الأمة منذ الصدر الأول –والحمد لله- على هذا الترتيب وارتضته جيلاً بعد جيل، فأصبح التزامه أمراً لا محيد عنه إلى قيام الساعة.

وقد جعل ابن الزبير الغرناطي هذا الخلاف بين العلماء لفظياً، فقال: (أن الأمر في ذلك كيفما قدر فلابد من رعي التناسب، والتفات التواصل والتجاذب، فإن كان بتوقيف منه ع، فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده فقد أعمل الكل من الصحابة بعد ذلك جهده، وهم الأعلياء بعلمه، والمسلم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات، ومواقع الكلمات، وإنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ع، وهذا قول مالك رضي الله عنه في حكاية بعضهم عنه، ومالك أحد القائلين بأن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين كما تقدم عنه، فكيف ما دار الأمر، فمنه ع عرف ترتيب السور، وعلى ما سمعوه منه بنوا جليل ذلك النظر، فإذا إنما الخلاف هل ذلك بتوقيف قولي أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر؟ فهذا موضع الخلاف)[١].

وإذا كان العلماء قد تباينت آراؤهم ظاهرياً، فإن الرأي الراجح في ترتيبها كان توقيفاً، وذلك لتظافر النصوص على أن الأغلب من سور القرآن معلومة الترتيب وقت نزول الوحي، وأن جبريل –عليه السلام- كان يعرضه على النبي ع في العام مرة، وعرضه عليه في العام الذي قبض فيه مرتين[٢].

وعليه فإن القول بالمناسبة اعتمد على الموقف من ترتيب السور، فالقول بالتوقيف هو رأي قال به المحققون من العلماء الذين أهتموا بعلم المناسبات في مصنفاتهم التي أفردوها بعلم المناسبات وفي تفاسيرهم، لذا فإني أميل إليه.

---

(١) البرهان في ترتيب سور القرآن (ص١٨٣).

(٢) قال ابن كثير والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه الله تعالى ليبقى ما بقي، ويذهب ما نسخ توكيداً واستثباتاً، وحفظاً لهذا عرضه عليه السلام في السنة الأخيرة من عمره على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك، ولهذا فهم عليه السلام أقتراب أجله (فضائل القرآن لابن كثير ص:٤٤)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الفصل الثاني
دراسة تطبيقية على مستوى السورة الواحدة

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لمضمونها ويشمل :

- العلاقة بين اسم السورة وحدث مذكور فيها.
- العلاقة بين السوره واسمها عبر الآية الأولى.
- العلاقة بين اسم السورة ومقاصدها.

المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

المبحث الثالث: مناسبة آيات السورة بعضها لبعض ومن هذه المناسبة :

١. تكرار الفاصلة الواحدة.
٢. الإجمال والتفصيل بين الآيات.
٣. علاقة التضاد.

الفصل الثاني
دراسة تطبيقية على مستوى السورة الواحدة

تمهيد

إن السورة تبدأ من اسمها، ثم مقدمتها، ثم مضمونها، ثم خاتمتها.

وذلك عبر آيات متعددة ذات فواصل، قد تتفق –وهذا هو الغالب- وقد تختلف، ولكل من هذه الأقسام المكونة للسورة وظيفة أو مناسبة.

أما مع موضوع السورة مثل العلاقة بين اسمها وحدث مذكور فيها، والعلاقة بين السوره واسمها عبر الآية الاولى، أو بين أولها وآخرها، أو بين اسمها ومقصودها.... الخ من العلاقات التي بدورها –كما سنرى- تحقق المناسبة، وتقوم بوظيفة التماسك بين أجزاء السورة، ولذا سوف أبيّن كل عنصر من هذه العناصر في المباحث الآتية:

المبحث الأول
مناسبة اسم السورة لمضمونها

لقد تنبه علماؤنا القدامى إن أهمية اسم السورة إذ (ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولاشك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصّه، أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق، لإدراك الرّأي للمسمى، ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن)[١].

ومناسبة اسم السورة لمضمونها ينقسم إلى عدة محاور هي:

أولاً: العلاقة بين أسم السورة وحدث مذكور فيها.

ومن هذه العلاقة التي تظهر بوضوح في سورة الإسراء، فإن من أسمائها (سبحان) و(بني إسرائيل) فقد روى البخاري –رحمه الله- في فضائل القرآن (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء أنهن من العتاق الأول وهن من تلادي)[٢].

فالعلاقة بين اسم السورة والحدث المذكور فيها واضحة، فحادثة الإسراء بالنبي ع المذكور في مطلع السورة واضحة الدلالة على أسمها، أما بنو إسرائيل (فمن أحاط أيضاً بتفاصيل أمرهم في سيرهم إلى الأرض المقدسة الذي هو كالإسراء وإيتائهم الكتاب وما ذكر ذلك من أمرهم في هذه السورة عرف ذلك)[٣].

فكانت أسماء هذه السور لها علاقة مع حدث مذكور فيها.

أما سورة (الحديد) فتتحدث عن موضوعات كثيرة فهي تدعو الجماعة الإسلامية إلى البذل في سبيل الله، بذل النفس وبذل المال... والخشوع لذكر الله وللحق

---

(١) البرهان (٢٧٠/١).

(٢) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)، كتاب التفسير، باب سورة الإسراء رقم الحديث (٤٧٠٨) (١٠٣/٦).

(٣) نظم الدرر (٣٢٧/٧).

الذي أنزله الله ليجيء البذل ثمرة لهذا الخشوع المنبعث من الحقيقة الإيمانية والإعلام بنسخ الشرائع كلها بشريعة هذا النبي ع - وإن رسالته لجميع الخلائق [١].

فكانت العلاقة بين أسم السورة وحدث مذكور فيها وهو إنزال الحديد في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [٢]، فإن بيان شرائع الكتاب، وتقويم ابواب العدل بالميزان، وتنفيذ هذه المعاني بالسيف [٣].

فكانت المناسبة واضحة بين أسم السورة وهذه الآية، وهي منزلة بقدره وتقديره. فوق ما فيه هنا من تناسق[٤] مع جو الآية، وهو جو تنزيل الكتاب والميزان وإنزال الله الحديد وبيان ما فيه من منافع، فيه إشارة إلى الجهاد والسلاح، فكانت الآية في موضعها من السورة التي تتحدث عن بذل النفس والمال[٥].

أما سورة (الحشر) فكانت العلاقة بين اسمها وحدث مذكور فيها: (تأمل قصة بني النضير المعلم بأول الحشر المؤذن بالحشر الحقيقي بالقدرة عليه بعد إطباق الولي والعدو على ظن أنه لا يكون، فلذا سميت بالحشر، وبني النضير لأنه سبحانه وتعالى حشرهم بقدرته من المدينة الشريفة إلى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم وغيرهم من اليهود الحشر الثاني من خيبر والشام الذي آية الحشر الأعظم إلى أرض الحشر)[٦].

فكانت المناسبة ظاهرة بين أسميها –الحشر- وبني النضير – وبين هذا الحدث المذكور فيها.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٤٦١/٧)، في ظلال القرآن لسيد قطب (ت ١٩٦٦هـ) (٣٤٧٥/٧)، دار الشروق ط/٣٤ لسنة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

(٢) سورة الحديد: الآية/٢٥.

(٣) ينظر: نظم الدرر (٧/ ٤٥٩).

(٤) التناسق عند سيد قطب: هو المناسبة بين الآيات والسور حيث اعتبرها أحد عناصر نظرية التصوير الفني، ينظر التصوير الفني لسيد قطب (٨٧- ١٤٢)، مطبعة أنوار دجلة، بغداد.

(٥) في ظلال القرآن (٣٤٩٤/٦).

(٦) نظم الدرر (٥٠٩/٧).

أما سورة (الجمعة) فكانت المناسبة ظاهرة من خلال العلاقة بين اسم السورة وحدث مذكور فيها من خلال ذكر خطبة الرسول ع في المسجد يوم الجمعة حين حضرت قافلة من قوافلهم التجارية، فما أعلن نبأ قدومها حتى انقض المستمعون إلى التجارة واللهو الذي كانت القافلة تحاط به فكان فيها فرضية الاجتماع وايجاب الإقبال عليها وهو التجرد عن غيرها والانقطاع لما وقع من التفرق حال الخطبة [1].

هذا الموقف الذي تذكره الآيات الأخيرة من السورة، بين العلاقة بين اسم السورة وهذا الحدث.

أما سورة (التغابن) فكانت العلاقة بين اسمها وحدث مذكور فيها في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ [2].

(وفي مشهد من هذا الجمع يكون التغابن: والتغابن مفاعلة من الغبن، وهو تصوير لما يقع من فوز المؤمنين بالنعيم وحرمان الكافرين من كل شيء منه، ثم صيرورتهم إلى الجحيم)[3].

ويضيف الإمام البقاعي قائلاً: (ولما كان هذا المقصد أمراً عظيماً مقطعاً ذكره الأكباد قال تعالى مشيراً إلى هوله بأداة البعد مستأنفاً: (ذلك) أي اليوم العظيم المكانة الجليل الأوصاف (يوم التغابن) الذي لا تغابن في الحقيقة غيره لعظمته ودوامه)[4].

فإن هذا المشهد الذي صورته الآية وهذا الحدث العظيم، دالٌ على أسم السورة ويظهر العلاقة بين اسم السورة وهذا الحدث أو المشهد.

ثانياً: العلاقة بين السورة وأسمها عبر الآية الأولى.

(١) ينظر: نظم الدرر (٧/ ٥٩٠)، تناسق الدرر (ص ١٢٤)،في ظلال القرآن: (٣٥٦٣/٦).
(٢) سورة التغابن: الآيتان ٩، ١٠.
(٣) في ظلال القرآن: (٣٥٨٨/٦).
(٤) نظم الدرر: (١٣/٨).

وهذه العلاقة أكثر وقوعاً في القرآن الكريم، إذ تسمى السورة تبعاً للآية الأولى غالباً.

فسورة الإسراء تبدأ بالإشارة إلى حادثة الإسراء، والمسجد الأقصى هو المكان الذي أسري به ع في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1].

فكانت السورة تتحدث عن موضوعات كثيرة[2]، لكنها تبدأ بالإشارة إلى قضية الإسراء ومن ثم الحديث عن المسجد الأقصى وإفساد بني إسرائيل في الأرض، وأرسال الله لعباد أولي بأس شديد لردِّ هذا الإفساد وكذلك فيها الحديث عن عدم إيمان المشركين بما ينزل على رسول الله من آيات، لكنهم يطلبون خوارق مادية كما طلبوا من موسى عليه السلام من قبل ومع ذلك لم يؤمنوا:

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾[3].

ومع ذلك عندما حدثهم رسول الله ع عن الإسراء والمعراج، وجاء بدلائل تثبت ما حدث له، فإنهم لم يؤمنوا، على الرغم من أنها معجزة حسية، ومن هنا يحدث الربط بين ما حدث لرسول الله، وما حدث لموسى عليه السلام[4] من قبل، والسورة تبين أن القرآن الكريم هو الذي فيه الهداية لمن أراد أن يهديه ومن ثم اشتملت على أوامر ونواهي تتعلق ببناء المجتمع المسلم حتى قيام الساعة، لأن المعجزة المادية

---

(١) سورة الإسراء: الآية/١.
(٢) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن (ص ٢٤٧)، في ظلال القرآن (٢٢١٢/٤).
(٣) سورة الإسراء: الآيات ٩٠- ٩٣.
(٤) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن/٢٤٣، في ظلال القرآن (٢٢١١/٤).

وقتية، ومن ثم ارتبطت أجزاء السورة بالإسراء المذكور في الآية الأولى، إذ العلاقة ليس بين اسم السورة والآية الأولى فحسب، بل يتعداها إلى العلاقة بين أجزاء السورة نفسها من ناحية وبين هذه الأجزاء واسم السورة من ناحية أخرى.

وكذلك سورة (الأعلى) كانت تتضمن (الثابت من قواعد التصور الإيماني: من توحيد الرب الخالق وإثبات الوحي الإلهي، وتقرير الجزاء في الآخرة، وهي مقومات العقيدة الأولى، تم تصل هذه العقيدة بأصولها البعيدة، وجذورها الضاربة في شعاب الزمان: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [1] فوق ما تصوره من طبيعة هذه العقيدة)[2].

كما تضمنت البشرى العظيمة لرسول الله ع: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [3].

فقد أرتبطت أجزاء السورة بصفات الله سبحانه المذكور في الآية الأولى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [4] فالصفة القريبة من هذا النص هي صفة الرب. وصفة الأعلى... والرب: المربي والراعي، وظلال هذه الصفة الحانية بما يتناسق مع جو السورة وبشرياتها وإيقاعاتها الرخية... وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التي لا تتناهى ثم اتبع سبحانه من التعريف بعظيم قدرته وعلي حكمته [5] إذ العلاقة ليس بين أسم السورة والآية الأولى فحسب بل بين أجزاء السورة نفسها من ناحية وبين الأجزاء وأسم السورة من ناحية أخرى.

ومن اللافت أن هناك سوراً –ولاسيما باقي المسبحات- فيها هذه المناسبة بين السورة وأسمها من خلال ذكر أسم السورة، مرة أخرى بداخل السورة، على الرغم

---

(١) سورة الأعلى: الآية/ ١٨، ١٩.
(٢) في ظلال القرآن (٣٨٨٢/٦).
(٣) سورة الأعلى: الآية/ ٦، ٧، ٨.
(٤) سورة الأعلى: الآية/١.
(٥) ينظر: الرهان في ترتيب سور القرآن (ص ٣٦١)، في ظلال القرآن (٣٨٨٣/٦).

من عدم كونه ليس موضوع السورة الكلي، بل يمثل واحداً من موضوعاتها وليس عبر الآية الأولى فيها كما في النموذج الأول الذي بينته في هذا المبحث.

فسورة (الحديد) وهي من السور التي تبدو العلاقة بين اسمها – اسم السورة- وبين ما فيها من موضوعات، من النمط الأخير؛ لمجرد ذكر الحديد فيها لكن تأمل هذه السورة يبرز العلاقة القوية بين اسم السورة وما فيها: من دعوة للجماعة الإسلامية كي تحقق في ذاتها حقيقة أيمانها، وهذه الحقيقة تخلص بها النفوس لدعوة الله.... ولما كان مدار السورة على حقيقة الإيمان في القلب، وما ينبثق من هذه الحقيقة من خشوع وتقوى، ومن خلوص وتجرد، ومن بذل وتضحية واستمرت الآيات في خطاب المؤمنين الى آخر السورة [1] فربطت بين هذه الموضوعات جميعاً في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2].

إذ أن في الحديد قوة في الحرب والسلم، وفيه منافع تكاد البشرية القائمة الآن تقوم على الحديد، وهو المعروف على وجه من القوة والصلابة واللين والحدة لقبول التأثير يعد به كالبائن لما في الارض، لذلك سمي ايجاده إنزالاً كما في هذه الآية إشارة إلى الجهاد والسلاح، فجاءت هذه الآية في موضعها من السورة التي تتحدث عن بذل النفس[3].

فالعلاقة هنا لم تكن بين اسم السورة ومجرد ذكر للفظ الحديد داخلها، بل بين مكونات السورة فيما بينها، وبين مكوناتها واسمها[4].

---

(١) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن (ص٣٣٠)، نظم الدرر(٤٣٢/٧)، في ظلال القرآن (٣٤٧٥/٦).

(٢) سورة الحديد: الآية/٢٥.

(٣) ينظر: نظم الدرر (٤٥٩/٧)، في ظلال القرآن (٣٤٩٥/٦).

(٤) ذكرت هذا النموذج (سورة الحديد) ليس كونها ترتبط بهذا النوع من المناسبة -بين السورة وأسمها عبر الآية الأولى- وإنما لغرض الاستزادة والتوضيح في السور التي أقوم بدراستها.

ثالثاً : العلاقة بين أسم السورة ومقاصدها.

قبل البدء في توضيح هذه العلاقة لابد من معرفة مفهوم المقصد القرآني ليتسنى لنا الربط والتطبيق بين المقاصد وأسم السورة.

فمفهوم المقصد القرآني: (هو الهدف والغاية الملحوظة في آيات الموضوع القرآني –في لفظها ومعناها- فهو المحصول منها، وما ترمي إليه، والآيات القرآنية شرح وتفصيل له، أو تعليل وإثبات له، ليتحقق عند المخاطبين)[1].

فإن مقاصد كل سورة لا تخرج عن المقاصد العامة للقرآن الكريم –إذ إن مقاصد القرآن كما يراها الإمام ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)، حيث يقول: (أعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله، وإلى الدخول في دينه، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لابد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله:

أحدها: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها.

والأخرى: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وترددهم إليها.

فأما العبادة: فتنقسم إلى نوعين وهما: أصول العقائد، وأحكام الأعمال، وأما البواعث عليها فأمران: الترغيب والترهيب)[2].

فإن المقاصد العامة هي مقاصد القرآن الكريم التي من أجلها أنزل الله هذا الكتاب على سيدنا رسول الله ع. وأما الخاصة فهي التي تلحظ في السورة القرآنية، وهي متفرعة ومترتبة على المقاصد العامة، فلو تتبعنا مقاصد كل سورة من سور القرآن لوجدناهما لا تخرج عن المقاصد العامة للقرآن الكريم، بل إنها تكون لها علاقة بأسم السورة، وهذه العلاقة –بين اسم السورة ومقاصدها- هي متفرعة من المقاصد العامة للقرآن الكريم.

---

(١) منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء، رسالة ماجستير –علي عبد الله علان- الجامعة الأردنية- ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، صفحة/٤٢، ويذكر الباحث أنه أفاد هذا المفهوم من مصادر مختلفة وقام بصياغته ليتناسب مع الدراسة.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي (٥/١).

وقد أبدى غيره من العلماء رأيه في المقاصد العامة منهم الإمام الشاطبي في الموافقات (٣٥٢/٣) وكذلك الإمام البقاعي في مصاعد النظر/ (٢١٠/١) وفي نظم الدرر: (١٢/١) وكانت آراؤهم في المقاصد العامة متقاربة جداً.

ومن هذه النماذج على العلاقة بين أسم السورة ومقاصدها.

سورة الإسراء:

فإن مقصودها: (الإقبال على الله وحده، وخلع ما سواه لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض، وذلك هو العمل بالتقوى، التي أدناها خلع الأنداد، واعتقاد التوحيد،.... وكل أسمائها واضح الدلالة على هذا)[١].

فالعلاقة بين الإسراء ومقاصدها: (فمن عرف أموره كلها في السرّي بالنبي ع من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم العروج من المسجد الأقصى، إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى، ثم إلى ما شاء العلي الأعلى، ثم التردد بين موسى عليه السلام، وبين من أسرى به من السماء السادسة إلى ما وصل إليه في المرة الأولى من الحد الأسمى، والحضرة الشماء... علم أن الفاعل لذلك متصف بكل ما ذكر، فأقبل بكليته، وأنقطع دائماً إليه)[٢].

أما العلاقة بين اسمها (سبحان)[٣] ومقاصدها واضحة وظاهرة ودالة على هذا: (أما سبحان –الذي هو علم للتنزيه- فمن أظهر ما يكون فيه، لأن من كان على غاية النزاهة من كل نقص، كان جديراً بأن: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٤] وأن يعرض كل مخلوق عن كل ما سواه لكونه متصفاً بكل ما ذكر)[٥].

سورة الحديد :

(١) مصاعد النظر –البقاعي (٢٣١/١)، ينظر: نظم الدرر- البقاعي (٣٢٧/١). ينظر: تفسير الرّوح والرّيحان، للشيخ محمد الأمين الشافعي (/١٦ ٢٧٦)، دار طوق النجاة، ط١ بيروت، ١٤٢١-٢٠٠١.

(٢) مصاعد النظر: (٢٣٢/١)، ينظر: نظم الدرر – البقاعي (٣٢٨/١).

(٣) إن من أسماء هذه السورة (الإسراء، سبحان، بني إسرائيل) نظم الدرر (٣٢٧/١).

(٤) سورة الإسراء: الآية/٢٣.

(٥) مصاعد النظر- البقاعي (٢٣٠/١)، ينظر نظم الدرر، البقاعي (٣٢٨/١).

فكانت مقاصدها: (بيان عموم الرسالة مناسب لعموم الإلهية، بالإرسال إلى الأزواج الثلاثة[1]. المذكورة في السورتين الماضيتين من الثقلين، تحقيقاً لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال تحقيقاً لتنزهه من كل شائبة نقص... المقتضي لجهاد من يحتاج إلى الجهاد ممن عصي رسول الله ع بالسيف، وما ترتب عليه من النفقة، رداً لهم عن النقائص الجثمانية، وإعلاء لهم إلى الكمالات الروحانية، التي دعا إليها الكتاب حذراً من سوء الحساب، يوم التجلي للفصل بين العباد، ليدخل أهل الكتاب وغيرهم في الدين طوعاً أو كرهاً، ويعلم أهل الكتاب –الذين كانوا يقولون: إنه ليس أحد أفضل من أحد. فضيلة هذا الرسول- ع على جميع من تقدمه من الرسل عليهم السلام، بعموم رسالته، وشمول خلافته) وانتشار دعوته، وكثرة أمته، تحقيقاً لأنه لا حدّ لفائض فضله سبحانه)[2] فالواضح من هذه المقاصد في هذه السورة أنها دالة على أسمها إذ إن من موضوعات السورة الرئيسية التضحية بالنفس لإعزاز دين الله، ورفع منار الإسلام.

سورة الحشر:

فكانت مقاصدها: (بيان ما دلَ عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص، بأثبات القدرة الشاملة، لأنه سبحانه وتعالى قوي عزيز، المستلزمة للعلم التام، المستلزم للحكمة البالغة للحشر، المظهر لفلاح المفلح، وخسارة الخاسر، على وجه الثبات، الكاشف أتم كشف لجميع صفات الكمال.

وأدل ما فيها على ذلك: تأمل قصة بني النضير، المعلم بأول الحشر، المؤذن بالحشر الحقيقي، بالقدرة على الحشر الأول، بعد أطباق الولي والعدو على ظن أنه لا يكون، فلذا سميت بالحشر)[3].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الواقعة الآية (٧- ١١).

(٢) مصاعد النظر- البقاعي (٥٩/٣)، ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٤٣٣/٧)، الرّوح والريحان (٤٢٨/٢٧).

(٣) مصاعد النظر، البقاعي (٧٢/٣)، ينظر نظم الدرر، البقاعي (٥١٠/٧)، الروح والريحان (١٥٠/٢٩).

فكانت مقاصدها دالة على اسمها، فكانت العلاقة واضحة بين المقاصد واسم السورة.

سورة الصف :

فكانت مقاصدها: (الحث على الاجتهاد التام، والاجتماع على قلب واحد، في جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم[1] بحملهم على الدين الحق، أو محقهم عن حديد الأرض، تنزيهاً للملك الأعلى عن الشرك، وأدل ما فيها على هذا المقصد: الصف)[2].

وكانت مقاصدها دالة على اسمها والعلاقة بينهما ظاهرة.

سورة الجمعة:

فإن مقاصدها هي: (بيان أول الصف[3]، بدليل –هو أوضح الدين، وأوضح عرى الإسلام- وهو الجمعة، التي اسمها مبين للمراد منها، من فريضة الاجتماع، وإيجاب الإقبال عليها والتجرد عن غيرها والانقطاع لما وقع من التفرق حال الخطبة[4] عمن بعث للتزكية بالاجتماع عليه في الجهاد وغيره، في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

واسمها (الجمعة) أنسب شيء فيها لهذا المقصد، بتدبير آياته، وتأمل أوائله وغاياته الحاثة على قوة التواصل والاجتماع)[5].

فكانت المناسبة بين اسمها ومقاصدها ظاهرة.

سورة التغابن:

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾ الممتحنة: الآية/١٣.

(٢) مصاعد النظر، البقاعي (٨١/٣)، ينظر نظم الدرر، البقاعي (٥٧٠/٧)، الروح والريحان (٣٦٩/٣١).

(٣) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ الصف الآية/٤.

(٤) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ الجمعة: الآية/١١.

(٥) مصاعد النظر، البقاعي (٨٣/٣، ٨٤)، ينظر نظم الدرر للبقاعي (٥٩٠/٧)، ينظر: الرّوح والريحان (٣٤٠/٢٩).

فإن مقاصدها هي: (الإبلاغ والتحذير، مما حذرت منه المنافقون[1]، بأقامة الدليل على أنه لابد من العرض على الملك للدينونة على النقير والقمطير يوم القيامة، يوم الجمع الأعظم.

وأسمها (التغابن) واضح الدلالة على ذلك وهو أدل ما فيها عليه، فلذلك سميت به)[2] فكانت المناسبة بين أسمها ومقاصدها ظاهرة.

سورة الأعلى:

فإن مقاصدها: (إيجاب التنزيه للأعلى سبحانه عن أن يلحق ساحة عظمته شيء من شوائب النقص، كاستعجال في أمر، من إهلاك الكافرين، أو غيره، أو العجز عن البعث أو أهمال الخلق سدى يبغى بعضهم على بعض بغير حساب. وعلى ذلك دلَّ كل من أسميها: سبح والأعلى)[3] وبعد عرض هذه النماذج أتضحت المناسبة بين أسم السور ومقاصدها التي هي ضمن المقاصد العامة للقرآن الكريم لا تخرج عنها بل هي متفرعة عنها ومترتبة عليها.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (سورة المنافقون: الآية ١٠).

(٢) مصاعد النظر- البقاعي (٩٠/٣)، ينظر نظم الدرر- البقاعي (٣/٨)، الروح والريحان (٣٧٠/٢٩).

(٣) المصدر نفسه (١٨٠/٣، ١٨١)، ينظر نظم الدرر- البقاعي (٣٩٣/٨)، الروح والريحان (٣٦٩/٣١).

المبحث الثاني
مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها

سورة الإسراء:

(أفتتحت بالتسبيح[١] - ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾ [٢]- وختمت ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴾ [٣].

وكذا عند السيوطي[٤]، وسيد قطب[٥]، وزاد الغماري فيما نقله عن غيره فيقول: (قال ابن الزملكاني: لما أشتملت هذهِ السورة على الإسراء الذي كذّب المشركون به النبي ع وتكذيبه لله سبحانه وتعالى أتى بسبحان لتنزيه الله عما نسب إليه نبيه من الكذب، وأختتمت بالتحميد، فتناسب مطلعها ومقطعها، حيث بدئت بتنزيه الله عن النقائص، وانتهت بإثبات الكمال له تعالى، وهذا هو الوضع الطبيعي: نفي، ثم إثبات)[٦].

سورة الحديد:

(أفتتحت بالتسبيح ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [٧]. واختتمت بوصف الله الذي أحاط بجميع صفات الكمال بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [٨] فقد أنطبق كما ترى آخرها على أولها، ورجع مفصلها على موصلها)[٩].

ويضيف الإمام السيوطي في مناسبة هذه السورة فيقول[١٠]: (بدئت بوصف الله، وختمت به، وفي صدرها ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [١١] وفي آخرها: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٤/٣٢٧، ٤٤١)، روح المعاني (١٥/٢).
(٢) سورة الإسراء: الآية/١.
(٣) سورة الإسراء: الآية/١١١.
(٤) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للسيوطي ص٩٤، تحقيق د.محمد يوسف الشربجي- مجلة الأحمدية العدد/٤.
(٥) في ظلال القرآن: لسيد قطب (٤ /٢٢٠٨).
(٦) جواهر البيان، للغماري(ص٥٢)، ينظر: روح المعاني (١٥/٢).
(٧) سورة الحديد: الآية/١.
(٨) سورة الحديد: الآية/ ٢٩.
(٩) نظم الدرر: (٤٧٣/٢).
(١٠) مراصد المطالع(ص١٠٠).
(١١) سورة الحديد: الآية/٧.

بِرَسُولِهِۦ ﴾[1]. وفي صدرها ذكر النور: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[2]. وفي آخرها ذكر النور: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾[3].

سورة الحشر:

(أولها[4]:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5]، وآخرها: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[6].

ويضيف سيد قطب في مناسبة هذه السورة فيقول: (تبدأ السورة وتختم بتسبيح الله الذي له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، فيتناسق[7] البدء والختام، مع موضوع السورة، ومع دعوة المؤمنين للتقوى والخشوع والتفكر في تدبير الله الحكيم)[8].

إذاً المناسبة هنا لم تكن بين افتتاح السورة وخاتمتها فقط بل بين البدء والختام من جهة، وبين موضوع السورة من جهة أخرى، وهذه المناسبة واضحة في موضوع السورة.

سورة الصف:

قال الإمام السيوطي[9] في مناسبة هذه السورة: (أولها: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[10] النازل في الجهاد، وآخرها ذكر أنصار الله الذين جاهدوا من قوم عيسى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت

---

(١) سورة الحديد: الآية/ ٢٨.
(٢) سورة الحديد: الآية/٩.
(٣) سورة الحديد: الآية/٢٨.
(٤) مراصد المطالع، للسيوطي(ص ١٠١).
(٥) سورة الحشر: الآية/١.
(٦) سورة الحشر: الآية/٢٤.
(٧) التناسق عند سيد قطب هو المناسبة وقد أفرد له فصلاً في كتابه (التصوير الفني في القرآن) وأطالَ النفس فيه وضرب له الأمثلة الكثيرة ينظر (من ٨٧- ١٤٣).
(٨) في ظلال القرآن: (٣٥١٢/٦).
(٩) ينظر: مراصد المطالع(ص١٠١).
(١٠) سورة الصف: الآية/٢.

طَآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ (١) وفي أولها: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ ﴾ (٢)، وفي آخرها: ﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (٣).

وفي أولها: ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ ﴾ (٤)، وفي آخرها: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (٥).

أما ما قاله الغماري في مناسبة هذه السورة فيختلف عما قاله السيوطي في قوله المتقدم وإن كان قريباً منه بعض الشيء.

فقال: (ذكر في فاتحة السورة حديث موسى لقومه: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ ﴾ (٦) وختمت بحديث عيسى لقومه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ (٧)، فتناسب مطلعها ومقطعها، لأن موسى وعيسى رسولان إلى بني إسرائيل، وثانيهما تابع لشريعة أولها)(٨).

فالإمام السيوطي وإن ذكر قول عيسى عليه السلام للحواريين المذكور في الآية لكنه وجه المناسبة توجيها آخر غير توجيه الغماري لها، والمناسبة واضحة في قول كل منهما- والله أعلم.

سورة الجمعة:

مناسبة فاتحة هذه السورة لخاتمتها ظاهرة. فقال البقاعي: (أخبر أول هذه السورة أن ذلك التنزيه على وجه التحديد والاستمرار بالمضارع لأستمرار ملكه فقال: (يسبح)... فقد رجع آخر السورة كما ترى على أولها بما هو من شأن الملك من الرزق وإنالة الأرباح والفوائد)(٩).

---

(١) سورة الصف: الآية/١٤.
(٢) سورة الصف: الآية/٤.
(٣) سورة الصف: الآية/١١.
(٤) سورة الصف: الآية/٦.
(٥) سورة الصف: الآية/١٣.
(٦) سورة الصف الآية/٥.
(٧) سورة الصف الآية/١٤.
(٨) جواهر البيان (ص١٢٠)
(٩) نظم الدرر (٥٩٠/٧، ٦٠٤).

أما السيوطي فيقول: (بدئت بوصف الله سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (١)، وختمت به: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (٢).

أما الغماري فالمناسبة في هذه السورة تختلف عن سابقيه في بيان وجهها فيقول: (أفتتحت السورة بالحديث عن النبي ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣).

وختمت بالحديث إليه: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ... ﴾ (٤)

---

(١) سورة الجمعة: الآية/١.
(٢) سورة الجمعة: الآية/١١.
(٣) سورة الجمعة: الآية/٢.
(٤) سورة الجمعة: من الآية/١١.

فتناسب المطلع والمقطع)[1].

ومن خلال ما تقدم من أقوال في مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها ومع أختلاف الأقوال فيها فأنها جميعها مناسبات واضحة من خلال ما ذكروه من مناسبات بين مطالع السورة ومقاطعها.

سورة التغابن:

يقول الإمام السيوطي في مناسبة هذه السورة ما نصه: (في أولها: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[2]، وفي آخرها: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾[3])[4].

فالمناسبة بين مطلع السوره وخاتمتها انها تحدثت عن الغيب وتقرير ان الله تعالى يعلم الغيب في السموات والارض ويعلم مالا تسرون وما تعلنون ثم تقرير في خاتمة السورة الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهوغيب الحياة الاخرى وما يكون فيها، فكانت فاتحة السورة مناسبة لخاتمتها. والله اعلم.

أما الغماري فالمناسبة عنده غير ما ذكره السيوطي فيقول: (افتتحت بالثناء على الله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[5]، وختمت به: ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[6] فتناسب فيها المطلع والمقطع)[7].

والمعنيان متقاربان عند كل منهما –والله أعلم-.

سورة الأعلى:

إن من مناسبة فاتحة سورة الأعلى لخاتمتها كما قال الإمام البقاعي: (أمر أكمل خلقه رسوله المنزل عليه هذا القرآن ع بتنزيه أسمه لأنه وحده العالم بذلك حق علمه،... وختمت بـ(صحف إبراهيم وموسى) على أن من خالف أوامر التوراة التي

---

(١) جواهر البيان:(ص ١٢٠).
(٢) سورة التغابن: الآية/٤.
(٣) سورة التغابن/ الآية ١٨.
(٤) مراصد المطالع(ص١٠١).
(٥) سورة التغابن: الآية/١.
(٦) سورة التغابن: جزء من الآية ١٧، الآية ١٨.
(٧) جواهر البيان (ص١٢٠).

أعظمها البشارة بمحمد ع وقد حث آخرها على التزكي وهو التطهر من الأدناس الذي هو معنى التنزه والتخلق بأخلاق الله بحسب الطاقة وكان في إتيانه والتذكير به إعلام بأن الله تعالى لم يهمل الخلق من البيان بعد أن خلقهم لأنه لم يخلقهم سدى، لأن ذلك من العبث الذي هو من أكبر النقائص وهو سبحانه منزه عن جميع شوائب النقص –فقد رجع آخرها على أولها، فكان تنزيه الرب سبحانه وتعالى وتنزيه النفس أيضاً غاية معولها)[1].

كذلك من مناسبات هذه السورة: (بدئت بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[2] وختمت بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[3] والتسبيح هو الصلاة، كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[4]، قال: (صلّ باسم ربك الأعلى)[5]. وفي أولها: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[6]. والمراد القرآن، وفي آخرها ذكر الصحف: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾[7])[8].

المبحث الثالث

مناسبة آيات السورة بعضها لبعض

لقد أكد علماؤنا مرجع المناسبة بين الآيات إلى معنى (رابط بينهما، عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدّين، ونحوه)[9].

ومما يؤكد هذا المعنى أكثر ما قام به السيوطي في شرح علاقات المناسبة بين الآيات بقوله: (ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط، لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه

---

(١) نظم الدرر،(٤٠٣/٨).
(٢) سورة الأعلى: الآية/١.
(٣) سورة الأعلى: الآية/١٥.
(٤) سورة الأعلى: الآية/١.
(٥) البحر المحيط، لابن حبان (/٨ /٤٥٨).
(٦) سورة الأعلى: الآية/ ٦.
(٧) سورة الأعلى: الآية/١٨ و١٩.
(٨) لم يذكر الإمام السيوطي مناسبة لهذه السورة وإنما ذكره محقق الكتاب الدكتور/محمد يوسف الشربجي.
(٩) البرهان (٣٦/١)، ينظر: الاتقان (٢١١/٢).

التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا؟ فإن كانت معطوفة فلابد أن تكون بينهما جهة جامعة... كالتضاد بين القبض والبسط)[1].

وهذا النص ذو دلالة على أهمية العلاقات في تحقيق المناسبة بين الآيات.

ويمكن إجمال هذه العلاقات التي تحقق المناسبة بين الآيات –إضافة إلى ما ذكرت- في عدة نقاط:

١- تكرار الفاصلة الواحدة.
٢- الإجمال والتفصيل بين الآيات.
٣- علاقة التضاد.

(١) الاتقان (٢/٢١٢).

تكرار الفاصلة الواحدة

لقد قسّم العلماء قديماً الفاصلة القرآنية من حيث حرف الرويّ[1] إلى قسمين: المتماثلة والمتقاربة.

أما المتماثلة- وتسمى كذلك المتجانسة أو ذات المناسبة التامة-[2] فهي التي تماثلت حروف رويّها، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ ﴾[3].

أما المتقاربة –وتسمى ذات المناسبة غير التامة- [4] فهي التي تقاربت حروف رويّها، كتقارب الميم من النون، كقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[5].

وهذا النوع من الفواصل –المتماثلة والمتقاربة- هو ما نعنيه بالدراسة، لأن للفاصلة علاقة مع السورة منها: (تعلق الفاصلة موسيقياً بجو السورة، وكذلك تعلق الفاصلة موسيقياً بمجموع القرآن)[6].

فعلاقة الفاصلة موسيقياً بجو السورة، أو علاقتها بمجموع القرآن، تتحقق في هذا النوع من الفواصل –المتماثلة والمتقاربة- ثم من خلال هذه العلاقات تتحقق المناسبة بين هذه الفواصل وبين السورة.

---

(١) الرويّ: هو الحرف الأخير الذي تبنى عليه القصيدة، فينسب إليه، فيقال قصيدة لامية أن كان حرفها لاماً (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب- أحمد الهاشمي (ص١١٤)- المكتبة التجارية الكبرى ١٩٩٦، ط١٦.

(٢) سماها الرماني (المتجانسة): (النكت في إعجاز القرآن: تح محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف- مصر ١٩٦١، ط١، (ص٩٠)، بينما سماها (المتماثلة كل من الزركشي (البرهان) (٧٢/١)، السيوطي (الاتقان) (٢٠٥/٢)، وسماها ابن القيم (ذات المناسبة التامة) (الفوائد) المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان- لابن القيم الجوزية مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧هـ، ط١، (ص٨٨).

(٣) سورة الطور: الآيات/١-٤، والمثال من البرهان للزركشي (٧٣/١).

(٤) سماها الرماني (المتقاربة): (ثلاث رسائل) (٩٠)، وكذلك الزركشي: (البرهان) (٧٣/١)، والسيوطي (الاتقان) (٢٠٥/٢)، وسماها ابن القيم (ذات المناسبة غير التامة) (الفوائد) (٨٨).

(٥) سورة الفاتحة: الآيتان/ ٣، ٤، والمثال في البرهان للزركشي (٧٤/١).

(٦) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، دار عمار- الأردن ط٢، ١٤٠٦-١٩٨٦، (ص٢٩٣)، وذكر علاقات أخرى غير هذه التي ذكرتها لمن أراد الاستزادة الإطلاع عليها.

ومن أجل تحقيق المناسبة في الفواصل القرآنية قد يعدل عن الأصل، فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما يجب أن يتقدم، ويحذف ما ينبغي أن يذكر والعكس أو يزاد حرف الى آخر ذلك.

وهذا ما أكده الإمام الزركشي إذ قال: (وأعلم إن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه في اليقين من النفس تأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها مواضع)[١].

ولعل هذا النسق الموسيقي الذي يعدل التعبير القرآني من أجله عن الأصل في بعض الآحيان أمر ضروري لما فيه من وقع شديد في النفس، بل أنه (يوشك أن يكون مناط الاعجاز الذي يتجه به القرآن الى التأثير في نفوس سامعيه، سواء افهموا معانيه، واحاطوا باسرارها ودقائقها أم لم يفهموا أو يحيطوا بشيء منها) [٢]

ومن هذه النماذج:

سورة الإسراء حيث تنتهي بفاصلة واحدة (تكرار حركة واحدة في رويّ الفواصل) [٣] باستثناء آية واحدة وهي الآية الأولى.

فكانت فواصلها: (وكيلاً، مشكوراً، كبيراً، مفعولاً، نفيراً، تتبيراً، حصيراً، كبيراً، اليماً، عجولاً، تفصيلاً، مفعولاً، منشوراً، تدميراً، بصيراً.... الخ السورة) فإن آياتها مائة وعشر آيات تنتهي بفاصلة واحدة، وهي حركة واحدة التنوين على الألف.

فإن تكرار الفاصلة الواحدة في هذه السورة، يظهر تعلق الفاصلة موسيقياً بجو السورة، حيث أن الجو العام للسورة هو التسبيح[٤].

ومن النماذج كذلك سورة الأعلى، فأنها تنتهي بفاصلة واحدة (حيث التزمت حرف الرويّ الألف المقصورة)[٥].

فكانت فواصلها: (الأعلى، سوى، المرعى، أحدى، تنسى، يخفى، لليسرى، الذكرى، يخشى، الأشقى، الكبرى، يحيا، تزكى، صلى، الدنيا، أبقى الأولى، موسى).

فكانت فواصلها (هادئة في إيقاع آياتها، ودلالاتها، ومن ثم تميل إلى اللين لا الشدة)[٦].

---

(١) البرهان، الزركشي (٦٠/١)، وقد ضرب الأمثلة على هذه المواضع وكانت أثنى عشر موضعاً في القرآن الكريم.

(٢) لغة القرآن الكريم في جزء عمَّ، الدكتور محمود أحمد نحله (ص٤٣٩)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

(٣) المقصود بفاصلة هذه السورة تكرار الحركة وليس حرف الروي فيها لأن حرف الروي فيها كان أحدى عشر حرفاً وقد جمعها: (قلّ من سعد بفره) ينظر مصاعد النظر (٢٣٠/٢).

(٤) ذكر التسبيح في هذه السورة في الآيات: (١، ٤٣، ٤٤، ٩٣، ١٠٨).

(٥) الفاصلة- محمد الحسناوي (ص٤٧٤).

(٦) علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي، (ص١٤٠).

كما أن (إيقاع السورة الرخي المديد يلقي ظلال التسبيح ذي الصدى البعيد)[١].
وهنا يبدو جلياً تعلق الفاصلة موسيقياً بجو السورة.
وتبين من خلال وحدة الفاصلة في سورتي الإسراء[٢] والأعلى إن (المناسبة التي تتحقق بوحدة الفاصلة ليست بين هذه الفواصل فقط وبين المقاطع التي توجد فيها، بل بين الدلالة التي تحملها هذه الفواصل، فكثيراً ما تحمل هذه الفواصل الدلالات المناسبة لصفاتها الصوتية من شدة وجهر ورقة ولين)[٣].
وهناك من السور القرآنية تتعدد فيها الفواصل نجد –في الغالب- تقارباً بين الفواصل وتسمى المتقاربة أو ذات المناسبة غير التامة –أي الفاصلة التي يكون فيها حرف الرويّ متقارباً.
فإن من دلالات هذه – المتقاربة- هي كسر الرتابة في تقفية الفواصل في عدم التزام معظم السور للروي المتماثل [٤].
وكذلك في سورة الحديد:
كانت فواصلها أحدى عشر فاصلة تنتهي بحرف الراء، وعشر فواصل تنتهي بالميم، وخمس فواصل بالنون، وواحده بالدال وواحدة بالزاي، وواحده بالياء، فإن فواصل هذه السورة من الفواصل المتقاربة التي لم تلتزم روّياً واحداً، وهو الغالب في سور القرآن الكريم.
فكان رويها (ستة احرف يجمعها : من يزور. أو زمن برد) [٥]
فنلاحظ أن معظم فواصل هذه السورة من الفواصل الاكثر شيوعاً من مجموع فواصل القرآن الكريم.
ولضرورة معرفة الرويّ الاكثر شيوعاً في الفواصل، والوقف على دلالته ولعلاقته في السور المراد دراستها، فقد آثرت ذكرها هنا.

ن:٣١٥٢	ل :٢٢١	ف :٢١	ص :١٠	و: ٣
م:٧٤٢	هـ : ١٢٩	ج :٢٠	ك :٩	ذ:٢
ر:٧١٠	ي :٩٢	ط:١٩	ث :٦	غ:١
د:٣٠٨	ق :٦٥	ز: ١٧	ح :٥	خ :
ي:٢٤٥	ت :٤٥	ظ:١٧	ض :٤	
ب :٢٢١	ع: ٣٣	س :١٤	ش :٣	

(١) في ظلال القرآن (٣٨٨٢/٦).
(٢) وحدة الفاصلة بين فواصل سورة الإسراء، تحققت في وحدة حركة التنوين على الألف ليس كما في سورة الأعلى حيث التزمت الأخيرة حرف الألف المقصورة.
(٣) علم اللغة النصي، محمد صبحي الفقي (١٣٩/٢).
(٤) ينظر: الفاصلة في القرآن (ص ٣٠٢).
(٥) مصاعد النظر (٥٨/٣).

اما سورة الحشر :

فكانت فواصلها اربع عشر فاصلة تنتهي بحرف النون، وخمس فواصل بالميم وثلاث بالراء، واثنتان بالباء، فهي كذلك كانت فواصلها من الفواصل الاكثر شيوعاً من مجموع الفواصل، فكان رويها (اربعة احرف : وهي : منبر) [١]

سورة الصف:

منها عشر آيات تنتهي بالنون وثلاث آيات بالميم وآية واحدة بالصاد، فنجد أن معظم فواصلها تنتهي بالنون وهو حرف الرويّ الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم.

حيث إن (رويها ثلاثة أحرف هي: صمن)[٢].

سورة الجمعة:

منها عشر فواصل تنتهي بالنون وثلاث فواصل بالميم، حيث أن (رويها حرفان هي: من)[٣].

سورة التغابن :

فكانت فواصلها : سبع فواصل تنتهي بالراء، وسبع فواصل بالميم، وثلاث فواصل بالنون وواحدة بالدال، فكان رويها (اربعة أحرف، وهي : من در) [٤].

وإن دور(فاصلة النون المردوفة بواو أوياء في كسر الرتابة، كسراً لايمكن تفسيره الا بالاعجاز، فالفاصلة المذكورة ذات وقع موسيقي متجانس، ودلالة عامة هي الجمع ثم فوق ذلك فاصلة القرآن الاثيره) [٥].

ويبدو جليا تعلق فواصل هذه السور موسيقياً بمجموع القرآن الكريم، فضلاً عن تعلق هذه الفواصل فيما بينها بالمقاطع التي توجد فيها هذه الفواصل، مم يحقق المناسبة بين الآيات التي ختمت بها هذه الفواصل، ومن ثم تتحقق المناسبة على مستوى السورة باكملها.

فضلاً على تحققه هذه الفواصل من مناسبة مع المقاطع والسوره التي تشملها هذه الفواصل فإن لها (قيمتها في اتمام المعنى، وهي مرتبطة بآياتها تمام الارتباط، ولها اثرها الموسيقي في نظم الكلام، ولهذه الموسيقية أثرها في النفس، واسلوب

---

(١) مصاعد النظر (٧٢/٣).
(٢) مصاعد النظر، البقاعي (٨١/٣).
(٣) المصدر نفسه (٨٣/٣).
(٤) مصاعد النظر (٩٠/٣).
(٥) الفاصلة في القرآن: (ص ٣٠٢).

القرآن فيه هذه الموسيقى المؤثرة ومن اجلها حدث في نظم الآي ما يجعل هذه المناسبة امراً مرعياً) [1].

فإن معظم فواصل هذه السور تنتهي بالنون وهو الروي الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم، ويبدو جلياً تعلق هذه الفواصل موسيقياً بمجموع القرآن الكريم، فضلاً عن تعلق هذه الفواصل فيما بينها بالمقاطع التي توجد فيها، مما يحقق المناسبة بين الآيات التي ختمت بها هذه الفواصل، وثم تتحقق المناسبة على مستوى فواصل السورة بأكملها.

ومن الملاحظ : أن فواصل سور المسبحات قد تضمنت اسماء الله الحسنى باستثناء سورة الاعلى، فإن تناوب ذكر الاسماء الحسنى في الفواصل – ذلك التناوب غير المتباعد – يثري الفواصل بدلالات لا تحصى من خلال هذه الاسماء، التي لها طابع القداسة والاهمية، ودلالة الايقاع الموسيقي للاسماء الحسنى [2].

وبعد عرض هذه النماذج اصبح واضحاً وظيفة تكرار الفاصلة بنوعيها – المتماثلة والمتقابلة – في تحقيق المناسبة في المقاطع التي توجد فيها هذه الفواصل، ومع جو السورة العام، ومن ثم علاقتها بمجموع القرآن.

---

(١) من بلاغة القرآن الكريم، د. احمد احمد بدوي (ص٨٧)، مطبعة نهضة مصر،ط٢،١٣٧٠ هـ-١٩٥٠م.

(٢) فإن معظم هذه الاسماء – ان لم نقل كلها- مردوف باحد حروف المدّ- لاسيما مدّ الياء، مما يترك صداه الآسر في موقعه من الفاصلة، وفي تناغمه مع الطابق العام للفواصل. الفاصلة في القرآن (ص٣١٤).

الإجمال والتفصيل.

هذه العلاقة من علاقات المناسبة المهمة، إذ يعد التفصيل شرح للإجمال، والإجمال في الغالب- سابق للتفصيل.

وكثيراً ما تأتي الآيات المتجاورة في السورة فتكون الثانية على جهة التفسير والتأكيد أو الاعتراض[١].

وهذا ما يسمى بالمتصل أما إذا كان بين آيات في مكانين مفترقين في سورة واحدة يسمى بالمنفصل[٢].

وقد بين الإمام السيوطي أسباب الإجمال وذَكر منها: (الاشتراك، والحذف، وغرابة اللفظ، وعدم كثرة الاستعمال... ثم قال وقد يقع التبيين متصلاً أو منفصلاً وقد يقع التبيين في السنة)[٣].

ويمكن تقسيم هذه العلاقة إلى عدة أنماط:

١- اسم السورة والسورة [كلمة وعدة آيات/جمل].
٢- الآية الأولى وبقية السورة [عبارة أو جملة وعدة آيات].
٣- الآية والآيات المجاورة.
٤- الكلمة/ والكلمات المتجاورة.

فسورة (الإسراء) نجد أن علاقة الإجمال والتفصيل كائنة في الصلة بين الأسم وما حدث فيها من تفصيل لحادثة الإسراء تتصل باسم السورة.

فتبدأ السورة بالتسبيح وذكر الإسراء وصفة العبودية وتحمل معها زمانها (أسرى بعبده ليلاً)، وبيان الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن ثم وصف المسجد الأقصى بأنه (الذي باركنا حوله)، ومن ثم تقرير القصد من الإسراء (لنريه من آياتنا) يجيء منه تعالى نصاً[٤] وكان هذا التفصيل في الآية الأولى من السورة وهو تفصيل لهذه الحادثة وهو تفصيل لاسمها، وبقية السور تتصل بهذه الحادثة من قريب أو بعيد.

أما النمط الثاني بين الآية والآيات المجاورة، نجد أن هناك نماذج يكون الإجمال والتفصيل بين الآيات التي في داخل السورة لا التي في أولها.

---

(١) البرهان (٣٩/١).
(٢) ينظر: بديع القرآن(٣٧).
(٣) الاتقان (٣٦/٢).
(٤) ينظر: في ظلال القرآن (٢٢١٢/٤).

مثل قوله تعالى في سورة الصف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [1] فسرت التجارة بقوله تعالى: ﴿ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [2].

فكانت هذه الآية (مفسرة للتجارة؛ لأن التجارة تحتمل معنى غير الإيمان والجهاد)[3] فكان التفصيل في (آية مستقلة لأن التفصيل بعد الإجمال يشوق القلب إليه ويقره في الحس ويمكن له)[4].

ففي هذا التفصيل بعد الإجمال تتحقق العلاقة بين الآية والآيات المجاورة في السورة.

وكذلك في سورة التغابن في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ [5] فقد بيّن تعالى (موجب الغبن للغابن والمغبون فقال: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [6] وفي الآية التي بعدها: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [7] فبين حال المغبون)[8].

أما النمط الثالث بين الكلمة والكلمات المجاورة داخل الآية الواحدة، مثاله في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ ﴾ [9]

---

(١) سورة الصف: الآية/١٠.
(٢) سورة الصف: الآية/١١.
(٣) أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي (ص١٧٦٦)، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
(٤) في ظلال القرآن (٣٥٥٩/٦)، ينظر: الاتقان (١٨٣/٣).
(٥) سورة التغابن: الآية/٩.
(٦) سورة التغابن: الآية/٩.
(٧) سورة التغابن: الآية/١٠.
(٨) أضواء البيان(ص ١٨٠٥).
(٩) سورة الحشر: الآية/٢.

فقد بين (السبب الحقيقي لإخراجهم في قوله تعالى: ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [1]. وهذا من أهم أسباب اخراجهم)[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [3] بيَّن أَن سبب (الداء الذي عمّت به البلوى إنما هو ضعف العقل ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [4]. فأن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق)[5].

فكانت العلاقة واضحة بين الكلمة والكلمات المجاورة داخل الآية الواحدة وما تحققه من المناسبة.

وغير هذه النماذج كثير فالقرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، هذا فضلا عن وجود علاقة الإجمال والتفصيل بين القرآن والحديث الشريف، خاصة في تفصيل العبادات والأحكام، وهذا ليس موضوع دراستنا.

وفي هذه النماذج يتأكد لنا علاقة الإجمال والتفصيل ذات وظيفة مهمة في تحقيق المناسبة بين الآية الواحدة وبين الآية والآيات المجاورة وبين الكلمة والكلمات على مستوى السورة الواحدة.

علاقة التضاد

يعدُّ التضاد أحد أنواع المناسبات بين الآيات ويقع هذا النوع في القسم الأول من الروابط وهو اللفظي، وفي القسم الثاني وهو المعنوي، ولكونه يقع في هذين القسمين ولأهميته – كماسيتضح جعلته أحد العلاقات على مستوى السورة الواحدة.

وقبل البدء بتطبيق هذه العلاقة على السور، لابد من معرفة هذا المصطلح ومفهومه-.

التضاد: (هو الجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل)[6].

إذ أن التضاد هو الذي يكسب التقابل قيمة لأنه يؤدي إلى إيضاح المعنى وتقريب الصورة وهو كما قال الشاعر:

---

(١) سورة الحشر: الآية/٢.
(٢) أضواء البيان (ص١٣٢٧).
(٣) سورة الحشر: الآية/١٤.
(٤) سورة الحشر: الآية/١٤.
(٥) أضواء البيان(ص ١٣٢٧)، ينظر: في ظلال القرآن (٦/٣٥٢٨).
(٦) التعريفات، للشريف الجرجاني (ص٥٣)، القاهرة ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م، حيث رجح د.أحمد مطلوب هذا التعريف.

ضـــــدان لّمـــــا اســـــتجمعا حَسُـــــنا.

والضـــــد يظهـــــرَ حُسْـــــنَه بالضـــــدُّ[1].

وقد بين الإمام الزركشي مفهوم التضاد والحكمة منه حيث قال:

التضاد: هو جامع وهمي، وحكمته التشوق والثبوت على أفضل المتضادين كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء[2].

من هنا تظهر أهميته، فالتضاد هو الذي يكسب التقابل قيمة في إيضاح المعنى، وله حكمته أيضاً في الثبوت على الأفضل وليكون الباعث على العمل.

وهذا ما أكده الإمام السيوطي حيث قال: (ومما الكلام فيه التضاد: ذكر الرحمة بعد العذاب، والرغبة بعد الرهبة، وقد جرت عادة القرآن إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعيداً ليكون باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الأمر والناهي)[3].

والجمع بين المتضادين (يكون باسمين أو فعلين أو حرفين، أي لا يصح أن يضم الأسم إلى الفعل أو الفعل إلى الأسم)[4].

والذي يعنينا في هذا المبحث هو وظيفة هذه العلاقة في تحقيق المناسبة بين الآية الواحدة وبين الآيات المتجاورة داخل السورة الواحدة، إذ ان الصور المتقابلة تسهم في تأدية المعنى بشكل مؤثر، حيث يوضح الضدّ امام ضدّه، ليسهل التمييز بينهما(إذ أن معطيات المقابلة والضدية تحدث مقابلة نفسية تدفع المتلقي الى تقبل هذه الهزه المباغته للأشياء المتضادة في تفكيره وفي محصلته اللغوية) [5]

ومن النماذج على علاقة التضاد:

قوله تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ ﴾ [6] فقابل بين الهدى والضلال وكانت الجمع بين فعلين وحرفين.

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب (٢٥٤/٢)، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، ط١ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.حيث استخلص هذا التعريف من خلال تعاريف العلماء له قديماً وحديثاً.

(٢) ينظر: البرهان (٤٩/١)، الاتقان (٢١٣/٢)، منهج مناسبات الآيات القرآنية، علي عبد الله علاّن (ص٨٥).

(٣) الاتقان (٢١٣/٢)، ينظر: البرهان (٣٩/١، ٤٠).

(٤) الفوائد، ابن القيم (ص٤٥)، حيث ذكر الأمثلة على كل نوع من هذه الأنواع.

(٥) المذهب البديعي في الشعر والنقد، رجاء عيد (ص ٣٨)، منشأه المعارف للطباعة والذشر، الاسكندرية، (د.ت).

(٦) سورة الإسراء الآية/١٥.

وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[1].

فقابل بين العذاب والرحمة، وكان الجمع بين فعلين (يرحمكم، يعذبكم).

وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ ﴾[2].

فكانت المقابلة اللطيفة بين جملتين (يرجون رحمته) و(يخافون وعذابه)[3].

وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ ﴾[4].

فالتضاد هنا بين الولوج والخروج، والنزول والعروج، وهذه كلها أفعال، وشبه التضاد بين السماء والأرض[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾[6]

فقابل بين ﴿ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾و ﴿ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[7]

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[8]

﴿ جَاءَ الْحَقُّ ﴾و ﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ ﴾[9]

---

(١) سورة الإسراء: الآية/٥٤.
(٢) سورة الإسراء: الآية/٥٧.
(٣) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (١٦٨/٢)، مطبعة الماذيا الغربية، ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، الروح والريحان (١٠١/١٦).
(٤) سورة الحديد الآية/٤.
(٥) ذكر هذا المثال: البرهان(٤٠/١)،الاتقان(٢١٣/٢)، وينظر: الروح والريحان (٤٧٣/٢٨)
(٦) سورة الاسراء الآية / ٨٠
(٧) صفوة التفاسير (٢/ ١٧٤).
(٨) سورة الاسراء الآية / ٨١
(٩) صفوة التفاسير (١٧٤/٢)

وقوله تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1].

فالتضاد هنا بين فعلين (تأسوا وتفرحوا) [2].

وقوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [3].

طابق بين جميعاً و(شتى) [4].

وفي قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [5]

---

(١) سورة الحديد: الآية/٢٣.
(٢) الروح والريحان (٥١٧/٢٨)
(٣) سورة الحشر: الآية/١٤.
(٤) الروح والريحان (١٨٣/٢٩)
(٥) سورة الحشر الآية (٧).

فالتضاد هنا بين (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) [1] ، وبين

والتضاد لا يكون بين الكلمة والكلمة فقط، بل بين الجملة والجملة والآية والآية

ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [2].

فكانت مقابلة بين من اراد الدنيا ومن أراد الآخرة.

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [3].

هنا مقابلة ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ مقابل قول فرعون ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [4]

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [5].

فهاتان صورتان متقابلتان ترسمان نعيم الجنة وعذاب النار وهنا تقابل دقيق في وصف حال المؤمنين مقابل سوء عاقبة المنافقين، فضلاً عن الطباق بين باطنه وظاهره وبين الرحمة والعذاب في قوله تعالى: ﴿ بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [6].

---

(١) الروح والريحان (١٣٦/٢٩).
(٢) سورة الإسراء، الآيتان ١٨، ١٩.
(٣) سورة الاسراء الآيتان / ١٠١-١٠٢.
(٤) ينظر: صفوة التفاسير (١٧٨/٢)
(٥) سورة الحديد، الآيتان ١٢،١٣.
(٦) ينظر: الروح والريحان (٤٧٤/٢٨)

ومن علاقة التضاد بين الآية والآية في قوله تعالى ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ ﴾ [1].

فقابل بين (سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ۝١٠ وبين (وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ۝١١ [2].

إن الامثلة في هذا المقام كثيرة جداً، لان التقابل يثير الانتباه ويحرك الذهن بوضع الضد امام ضده او ما يقابله.

وبعد عرض هذه النماذج يظهر دور هذه العلاقة- التضاد- في تحقيق المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة وبين الآيات على مستوى السورة.

(١) سورة الاعلى الآيتان (١٠-١١)
(٢) الروح والريحان (٣٦٧/٣١).

الفصل الثالث

المناسبة على مستوى اكثر من سورة

المبحث الأول : مناسبة فواتح أكثر من سوره.

المبحث الثاني : مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما تليها.

المبحث الثالث : مناسبة سوره بأكملها لسورة أخرى.

المبحث الرابع : مناسبة القصة الواحدة في أكثر من سوره.

المبحث الخامس : مناسبة الإجمال والتفصيل بين الآيات في أكثر من سورة.

الفصل الثالث
المناسبة على مستوى اكثر من سورة

تمهيد

إن المناسبات القرآنية كما أنها موجودة بين الآيات داخل السورة الواحدة، وبين الآية والآية المجاورة لها وبين أجزاء الآية الواحدة، فكذلك هي موجودة بين سور القرآن الكريم، سواء في مناسبة الإجمال والتفصيل أو مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التي قبلها، أو مناسبة السورة لسورة أخرى بأكملها، أو مناسبة افتتاح أكثر من سورة.

وهذه المناسبات كثيرة في سور القرآن الكريم وقد بينها العلماء – رحمهم الله- في مصنفاتهم التي اختصت في هذا العلم، وبيَّنها المفسرون في تفاسيرهم فكانت مناسبات لطيفة، وتظهر الإعجاز القرآني، وتبين أسرار الترتيب وارتباط السور مع بعضها، من أول سورة في المصحف إلى آخر سورة، وهذا ما سأبينه في المباحث الآتية في الدراسة التطبيقية لسور المسبحات.

المبحث الأول
مناسبة فواتح أكثر من سورة

أن كثيراً من سور القرآن تشترك في فواتحها، وإنه من باب حسن الابتداءات وقد بيّن ابن أبي الأصبع[١] أهمية افتتاح سور القرآن في حديثه عن باب حسن الابتداءات فقال: (ومما يدخل في هذا الباب من كتاب الله العزيز ابتداءات السور، وإذا تدبرتها جملتها، وتفصيلها، ومفرداتها، ومركباتها، ومعجماتها، ومعرباتها، ونظرت في إعداد حروفها، وما يوافق أعدادها في العدد الحسابي، وما نسب إليه من المعاني، رأيت فن البلاغة والتفنن في أنواع الإشارة ما تقتصر عنه العبارة)[٢].

فسور المسبحات من السور القرآنية التي تشترك في فواتحها، بالتسبيح، مع أنها لم تكن متتالية في الترتيب المصحفي ومع أختلاف في زمن اللفظة من سورة لأخرى لأسباب تُطلع على أنه سر من أسرار الترتيب وأسرار الفواتح.

وقد بين الإمام الزركشي فواتح سور القرآن وفصّلها في عشرة أنواع من الكلام لا يخرج من السور عنها، أولها الاستفتاح بالثناء فقال: (استفتاحية بالثناء عليه عز وجل والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفي وتنزيه من صفات النقص... والتنزيه نحو: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[٣]، ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[٤]، ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾[٥]، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾[٦]، كلاهما في سبع سور... ثم قال، قلت وهو سر عظيم من أسرار الألوهية)[٧].

---

(١) هو أبو محمد زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد المصري، المعروف بابن أبي الأصبع العدواني، ولد بمصر ٥٨٥ هـ، واستوطن القاهرة وكان شاعرها الأول، له مؤلفات كثيرة في البلاغة منها (تحرير التحبير)، (بديع القرآن)، (كتاب الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)، توفي سنة (٦٥٤ هـ)، حسن المحاضرة (٣٢٧/١)، كشف الظنون (١٨٨/١).

(٢) بديع القرآن، لابن أبي الأصبع المصري (ص٦١) تحقيق: حفني محمد شرف.

(٣) سورة الإسراء: من الآية: ١.

(٤) سورة الأعلى: الآية: ١.

(٥) الحديد والحشر والصف.

(٦) الجمعة والتغابن.

(٧) البرهان: (١٦٥/١).

وذكر الزركشي قول صاحب العجائب فقال: ((سبح لله) هذه كلمة استأثر الله بها؛ فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل لأنه الأصل؛ ثم الماضي (سَبَّحَ لله)، في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبق الزمانين، ثم المستقبل في الجمعة والتغابن، ثم الأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع: المصدر، والماضي، والمستقبل والأمر المخاطب، فهذه اعجوبة وبرهان).وفي هذا (دليل على أن التسبيح لله تعالى مستمر دائم في الاوقات كلها من الأزل الى الأبد) [1].

ولنأخذ فواتح هذه السور السبع على التوالي:

الإسراء: رقمها/١٧، آياتها/١١١.

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

الحديد رقمها/٥٧، آياتها/٢٩.

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

الحشر رقمها/٥٩، آياتها/ ٢٤.

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للامام نظام الدين القمي النيسابوري (٣١٣٣/٤)، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٤١٦،١هـ- ١٩٩٥م.

الصف رقمها/٦١، آياتها/١٤.

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾

الجمعة رقمها/٦٢ آياتها/١١.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾

التغابن رقمها/ ٦٤ آياتها/١٨.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

الأعلى رقمها/٨٧ آياتها/١٩.

﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾

وان اشتراك هذه السور في الفواتح، وعدم تواليها في الترتيب المصحفي واستيعاب الكلمة من جميع جهاتها، على ترتيب بديع، لدليل على أن ترتيب السور في المصحف توقيفي[١].

فقد استعملت الكلمة أولاً على هيئة المصدر، لأن المصدر هو الأصل اللغوي لجميع المشتقات، ثم استعملت بعد المصدر بالفعل الماضي في سورة الحديد والحشر والصف، لأن الماضي أسبق الزمانين، ثم استعملت بالفعل المضارع في سورتي الجمعة والتغابن، ثم جاء أخيراً بفعل الأمر في سورة الأعلى.

فاستوعب الكلمة من جميع جهاتها على ترتيب بين أصلها وأزمنتها قلَّ أن يفطن إليه البشر الذين يخلطون بين الأزمنة والأصول والفروع)[٢].

إذاً فهذه السور السبع، التي تبدأ بالتسبيح، تجمع بين فواتحها وحدة دلالية[٣] تتمثل في التسبيح، حيث أن التسبيح مذكور فيها كلها.

---

(١) أن ترتيب الآيات كان توقيفاً باتفاق العلماء، أما ترتيب السور في المصحف فكان محل خلاف بين العلماء، فمنهم من ذهب إلى أنه توقيفي، ومنهم من ذهب إلى أنه اجتهادي، ومنهم من قال توقيفي إلا الانفال وبراءة، ولهذا قال ابن كثير:(ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته فإن نكسه أخطأ كثيراً) ينظر:فضائل القرآن، ابن كثير ٠ص٣٩)،البرهان في= =ترتيب سور القرآن، ١٨٦، البرهان (٣٨/١)، الاتقان: (١٧٩/١)، مناهل العرفان: (٢٨٧/١- ٢٩١)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان (ص١٤٤).

(٢) تناسق الدرر: (ص٢٦).

(٣) **الدلالة**: هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وبين الجاحظ أصناف الدلالات فقال: (وجميع أصناف الدلالات علم المعاني من لفظ غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد، ثم

هذا بالنسبة للسور المراد دراستها فيما بينها أما مناسبة فواتح المسبحات مع سور أخرى غير المسبحات فتظهر المناسبة بين فاتحة الإسراء وفاتحة الكهف.

(كذلك مناسبة فاتحة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد، لأن التسبيح حيث جاء مقّدم على التحميد، يقال: سبحان الله والحمد لله)[1].

وهذه المناسبة ظاهرة بين فواتح السورتين، مع أنها متولية في الترتيب فسورة الكهف تأتي بعد الأسراء.

وبعد هذا العرض لأهمية فواتح السور في تحقيق المناسبة بين فواتح هذه السور، نؤكد أن مناسبة الفواتح لا تتحقق على مستوى هذه الفواتح فحسب، بل تتحقق على مستوى السور التي تظهر هذه المناسبة بين فواتحها.

فإذا كانت هذه المناسبة بين فواتح السور، فما المناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة التي تليها؟ هذا ما سأوضحه في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال التي تقوم مقام الأصناف. ودلالة اللفظ أعلى الدلالات الخمس التي ذكرها الجاحظ منزلة، واللفظ هو الذي يتبارى فيه الأدباء ويجولون في ميادينه. ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ (٧٦/١)، البر هان الكاشف، الزملكاني (ص٨٣)، التعريفات، الشريف الجرجاني (ص٩٣).

(١) البرهان (٣٩/١)، ينظر: مفاتيح الغيب (٧٤/١٢).

المبحث الثاني
مناسبة خاتمة السورة لفاتحة السورة التي تليها

هذا مظهر آخر من مظاهر المناسبة التي تؤكد إن القرآن الكريم مترابط كالكلمة الواحدة، فينقل السيوطي عن غيره رأياً مفاده أنك: (إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم يخفى تارة ويظهر أخرى)[1].

ومن هذه النماذج التي تظهر فيها المناسبة بين الخاتمة والمقدمة ظهوراً جلياً بين خاتمة النحل وفاتحة الإسراء.

تنتهي الأولى بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[2].

وتفتتح الثانية بقوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3].

فالمناسبة بين خاتمة الأولى وفاتحة الثانية (إن الله أثنى في ختام النحل على إبراهيم عليه السلام، وذكر في مفتتح الإسراء ما أكرم به أفضل الأنبياء من ذريته، وهما محمد وموسى عليهما السلام)[4].

وكذلك تظهر المناسبة بين الخاتمة والمقدمة ظهوراً جلياً بين خاتمة الإسراء وفاتحة الكهف، إذ تنتهي الأولى بأمر الرسول ع بالحمد: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[5] وتلتئم مقدمة الثانية بالخاتمة بقوله تعالى: :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ .... ﴾[6].

---

(١) الاتقان: ٣٢١/٢، وهذا الرأي ذكره الزركشي في برهانه، ينظر البرهان:(٣٧/١).
(٢) سورة النحل الآية: ١٢٠ -١٢٢.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١و٢.
(٤)ينظر: جواهر البيان (ص٥١)، البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٢٤٣)، روح المعاني (٢/١٥).
(٥) الإسراء: الآية/ ١١١.
(٦) الكهف: الآية/١.

وتنتهي الأولى بوصف سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا ﴾ [1].

وتبدأ الثانية بإنذار: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴾ [2] ومن ثم تظهر المناسبة بين الطرفين كالتالي:

خاتمة الإسراء	فاتحة الكهف
– الحمد لله.....	الحمد لله
– الذي لم يتخذ ولداً.....	إنذار الذين قالوا أتخذ الله ولداً
– الخطاب إلى الرسول.....	ذكر الرسول بلفظ (عبده)
– الاتفاق في فاصلة الآية (تكبيراً)...	مثلها عوجا

وكذلك خاتمة (الواقعة) وفاتحة (الحديد) فالمناسبة بين خاتمة الأولى وفاتحة الثانية ظاهرة واضحة، تختم الأولى بقوله تعالى: :﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [3] وتبدأ الثانية بقوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [4].

---

(١) سورة الإسراء: الآية/١١١.
(٢) سورة الكهف: الآية/٤.
(٣) سورة الواقعة: الآية/٩٦.
(٤) سورة الحديد: الآية/١.

وهذهِ الآية (كالعلة للأمر السابق، أي سبّح ربك لأن المخلوقات سبحته فلا تشذ عنها)[1].

أما خاتمة (الحديد) وفاتحة (المجادلة) فأن فاتحة الثانية تلتئم مع مطلع الأولى وليس في خاتمتها كما بينه الإمام السيوطي حيث يقول (لما كان في مطلع الحديد ذكر صفاته الجليلة ومنها: الظاهر والباطن، وقال: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾[2].

افتتح هذه –أي المجادلة- بذكر (أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه ع، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها حين نزلت: [سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، وأني لفي ناحية البيت لا أعرف ما تقول][3])[4].

وكذلك مناسبة خاتمة (المجادلة) لفاتحة (الحشر).

فذكر تعالى في خاتمة الأولى الوعيد لمن حادَ الله ورسوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[5].

وفي فاتحة الثانية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[6] أقول: إن هذه مناسبة ظاهرة حيث إن خاتمة الأولى فيها وعيد للذين يحادون الله ورسوله وأنهم في الأذلين، وكذلك إن الله ذكر الغلبة له سبحانه وهو القادر ولرسله، وبعد هذا الوعد كان الحشر وجلاء اليهود بني النضير، وتحقق وعده سبحانه بجعلهم في الأذلين وفي الغلبة له ولرسله والله أعلم.

أما خاتمة (الحشر) وفاتحة (الممتحنة).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٠٥/١٥)، البرهان (٣٨/١)، الاتقان (٢١٧/٢)، روح المعاني (١٦٤/٢٧)، تفسير المراغي (١٥٧/٩).

(٢) سورة الحديد: الآية/٤.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٥) في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (١٤١/٩).

(٤) تناسق الدرر(ص١٢٢)، تفسير المراغي (٣/١٠).

(٥) سورة المجادلة: الآية/ ٢٠ و٢١.

(٦) سورة الحشر: الآية/٢، ذكر هذه المناسبة المراغي في تفسيره (٣٠/١).

فالأولى تنتهي بالتسبيح في قوله: ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) وتبدأ الثانية بوصية المؤمنين على ترك موالاة اعدائهم ونهيهم عن ذلك في قوله تعالى: چ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ ... ﴾ (٢).

أما الرابط بينهما فأقول وبالله التوفيق أنه سبحانه وتعالى لما ختم الأولى بالتسبيح ومعروف أن التسبيح هو التنزيه له سبحانه من كل نقص –افتتحت الثانية بتنزه المؤمنين عن موالاة الكفار كما هو واضح في فاتحة السورة وهو يخاطب المؤمنين... والله أعلم.

وكذلك مناسبة خاتمة (الممتحنة) وفاتحة (الصفّ).

تختم الأولى بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ .... ﴾ (٣).

وتبدأ الثانية بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٤).

فالتنزيه يأتي (بعد ذكر جرائم المرتكبات ولا يرد في غير ذلك)(٥).

ففي خاتمة الأولى ذكر الله سبحانه غضبه على اليهود، فأتبع بالتنزيه في خاتمة الثانية فبين ابن الزبير أن (التنزيه يرد في القرآن الكريم بعد ذكر الجرائم ولا يرد في غير ذلك)(٦).

وكذلك خاتمة (الصف) بفاتحة (الجمعة).

فالأولى تختم بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ... ﴾ (٧).

---

(١) سورة الحشر: الآية/٢٤.
(٢) سورة الممتحنة: من الآية/١.
(٣) سورة الممتحنة: جزء من الآية/١٣.
(٤) سورة الصف: الآية/١.
(٥) البرهان في ترتيب سور القرآن(ص ٣٣٤)، ينظر: تفسير المراغي (٦٠/١٠).
(٦) البرهان في ترتيب سور القرآن/٣٣٤، ينظر: روح المعاني (٦٥/٢٨)، الرّوح والرّيحان (٢٤١/٢٩).
(٧) سورة الصف: الآية/١٤.

وتبدأ الثانية بقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (١).

(كانت خاتمة الأولى توهم بفضل اتباع عيسى عليه السلام على اتباع محمد ع فاتبع في الثانية بذكر هذه الأمة والثناء عليها فأفتتحت الثانية بالتنزيه كما أشار إليه قوله: ﴿ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ (٢) فإنهم ارتكبوا العظيمة وقالوا بالبنوة فنزه سبحانه نفسه عن ذلك)(٣).

أما مناسبة خاتمة (الجمعة) وفاتحة (المنافقون).

فالأولى تختم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الجمعة: الآية/١.

(٢) سورة الصف: الآية/١٤.

(٣) البر هان في ترتيب سور القرآن(ص٣٣٦)، ينظر روح المعاني (٨٣/٢٨)، الروح والريحان (٢٨٠/٢٩).

(٤) سورة الجمعة: الآية ١١.

وتبدأ الثانية بقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (١).

فالأولى جاءت (تحذر من التفريط في فضل الجمعة بالانشغال بالتجارة واللهو، وجاءت الثانية لتبين خصائص المنافقين وصفاتهم، وديدنهم في تفريق الجماعة وتشتيت العزائم وثني المسلمين عن الجهاد)(٢).

وفي ذلك من التناسب ما هو بين وواضح.

كذلك مناسبة خاتمة (المنافقون) لفاتحة (التغابن).

ختمت الأولى بقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) فكانت هذه الآية الثامنة في هذه السورة ولم تكن الأخيرة لكنها آخر آية تتحدث عن المنافقين والتي بعدها تتحدث عن المؤمنين.

وتبدأ الثانية بقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤).

---

(١) سورة المنافقون: الآية/١.

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٣٣٧)، ينظر: روح المعاني (٩٢/٢٨)، تفسير المراغي (١٠٥/١٠)، الروح والريحان (٣٢٠/٢٩).

(٣) سورة المنافقون: من الآية/٨.

(٤) سورة التغابن: الآية/١.

وافتتحت السورة (بالتنزيه لعظيم مرتكب المنافقين في جهلهم، ولو لم تنطوي سورة المنافقين من عظيم مرتكبيهم إلا على ما حكاه تعالى من قولهم: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ (١))(٢).

وهذا تناسب واضح.

أما خاتمة (التغابن) لفاتحة (الطلاق).

ختمت الأولى بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ..... ﴾ (٣).

بدأت الثانية بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ... ﴾ (٤).

فلما كانت (عداوة الأزواج تفضي إلى الطلاق، وعداوة الأولاد قد تفضي إلى القسوة، وترك الانفاق عليهم، عقب ذلك بسورة فيها ذكر أحكام الطلاق والانفاق على الأولاد والمطلقات بسببهم)(٥).

فهذه المناسبة واضحة وخاتمة الأولى شديدة الاتصال بفاتحة الثانية.

أما خاتمة (الطارق) لفاتحة (الأعلى).

---

(١) سورة المنافقون: من الآية/٨.

(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٣٣٨)،ينظر روح المعاني(١١٩/٢٨)،الروح والريحان (٣٥٤/٢٩).

(٣) سورة التغابن: الآية/١٤.

(٤) سورة الطلاق الآية/١.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣١٩٢/٤)، تناسق الدرر(ص١٢٦)، ينظر روح المعاني (١٥٠/٢٨).

ففي سورة الطارق رد الله تعالى قول المشركين في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وقول الكفار المذكور يلزم منه نسبة النقص إلى الله تعالى وتكذيبه في البعث، وحسن كلامه بالكهانة والسحر، فأفتتح سورة الأعلى بالأمر بالتسبيح، أي تنزيهه سبحانه عن كل نقص، مثبتاً علوه وقدرته التامة وحكمته في أفعاله[2].

في قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾[3].

فكانت المناسبة ظاهرة بين خاتمة الطارق وفاتحة الأعلى.

أما مناسبة خاتمة (الأعلى) وفاتحة (الغاشية).

إن الله سبحانه وتعالى أخبر في خاتمة الأعلى أن الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة في قوله تعالى: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾[4].

أتبع في فاتحة الغاشية فافتتحت بصيغة الاستفهام تعظيماً لأمرها فقال لنبيه ع: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾[5] وهي القيامة[6].

فكانت خاتمة الأعلى مناسبة لفاتحة الغاشية.

---

(١) سورة الطارق: الآيات/١١-١٤.

(٢) ينظر: جواهر البيان(ص١٤٤)، البرهان في ترتيب سور القرآن.ص٣٦١)، روح المعاني (١٠١/٣٠).

(٣) سور الأعلى: الآيتان/١، ٢.

(٤) سورة الأعلى: الآيتان/١٦، ١٧.

(٥) سورة الغاشية: الآية/١.

(٦) ينظر: جواهر البيان(ص١٤٥)، البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٣٦٢).

المبحث الثالث
مناسبة السورة بأكملها لسور اخرى

من يدقق النظر في سور القرآن الكريم كلها، فسيرى أن هناك علاقة ما بين كل سورة وما تسبقها وما تليها، ولكن اللافت للنظر أن هذه العلاقات لا تعم السورة كلها؛ بمعنى أنها بين آيات معينة وآيات أخرى من كل سورة، كما أتضح من المبحثين السابقين، وسوف يتضح ذلك خلال المبحثين الآتيين، ومن ثم كانت العلاقات الكاملة بين سورة كاملة وأخرى قليلة، وقد تحققت هذه المناسبة في السور القصار خاصة[١].

فالقرآن الكريم كله لا يخرج عن محورين أساسين تتشعب منهما محاور كثيرة ؛ هما الألوهية والعبودية، وكل سورة تناقشها بصورة قد تتفق مع غيرها من السور او تختلف، فسورة الفاتحة الى قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[٢] تتحدث عن المحور الاول، والى قوله تعالى ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [٣] تتحدث عن المحور الثاني، ومن ثم فهي ذات علاقة كاملة بالسور كلها [٤]، وذات اتفاق معها، وسوف نعرض تلك العلاقة بشيء من التفصيل في المبحث الاخير من هذا الفصل.

ومن هذه النماذج التي تظهر فيها المناسبة (سورة الإسراء) مع السورة التي تسبقها (سورة النحل).

(إنه سبحانه وتعالى ذكر في سورة النحل اختلاف اليهود في السبت، وذكر شريعة أهل السبت التي شرعها لهم في التوراة في الإسراء، وأنه سبحانه لما أمر نبيه ع بالصبر، ونهاه عن الحزن وضيق الصدر من مكرهم في النحل، ذكر في سورة الإسراء شرفه، وعلوّ منزلته عند ربه.

ولما ذكر في النحل نعماً كثيرة حتى سميت لأجلها سورة النعم، ذكر في الإسراء نعماً خاصة وعامة، وأنه ذكر سبحانه في النحل: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ ﴾[٥] ذكر في الإسراء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[١] وأنه في النحل أمر بإيقاء ذي القربى، وكذلك هنا مع زيادة إيتاء المساكين، وابن السبيل)[٢].

---

(١) حيث إن من السور القصار تكون كالمقابلة للسورة التي قبلها مثل، سورة الكوثر و سورة الماعون، ينظر: تناسق الدرر، (ص١٤٤).

(٢) سورة الفاتحة الآية: ٤.

(٣) سورة الفاتحة الآية: ٧

(٤) ينظر: التفاصيل في: مفاتيح الغيب (١/ ٢٢٧-٢٢٨)، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي (٩٦/١)، تناسق الدرر(ص ٣٢).

(٥) سورة النحل: من الآية/٦٩.

أما مناسبتها للسور التي تليها في الترتيب المصحفي يقول الإمام السيوطي: (اعلم أنَّ هذه السورة والأربع بعدها من قديم ما نزل، أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: (من العتاق الأول وهن من تلادي)[٣]. وهذا وجه في ترتيبها وهو إشتراكها في قِدم النزول، وكونها مكيات، وكونها مشتملة على القصص)[٤].

هذا بالنسبة لتناسبها مع السور الأربع التي تليها، أما مناسبتها لسورة الكهف، إن سورة الكهف بينت (غلط تفكير الذين أنكروا الإسراء والمعراج وتعجبوا منه واستغربوه، لأن فيه خرقاً لنواميس المادة، فكشف الله لهم عن حقائق جرت على هذه الأرض وفيها خرق لنواميس المادة وطبيعتها)[٥].

وإذا كنا نعد الفاصلة واحدة من وجوه المناسبة على مستوى السورة الواحدة، فإننا كذلك نعدها واحدة من وسائل المناسبة بين أكثر من سورة، فنجد التوافق في الفاصلة بين الإسراء والكهف ومريم وطه، فالإسراء كلها تنتهي بفاصلة واحدة باستثناء آية واحدة الآية الأولى، وتليها الكهف على الفاصلة نفسها، آياتها كلها ذات فاصلة واحدة، وتسير سورة مريم على الفاصلة نفسها، باستثناء خمس آيات لا تتفق مع هذه الفاصلة، وكذلك سورة طه، تنتهي آياتها كلها بفاصلة واحدة، إذن هذه السور الأربع كلها على فاصلة واحدة باستثناء ست آيات فقط[٦].

وهذا ما يظهر المناسبة بين هذه السور في ترتيبها، وفي قدم نزولها كونها مكيات –كما تقدم في الحديث- وكذلك في موضوعاتها التي تناولتها –القصص- وفي فواصلها.

أما مناسبة سورة الحديد للسورة التي تسبقها وهي سورة الواقعة فإن سورة الواقعة بينت (أنواع الخلق يوم القيامة وقسمت أهل الجنة قسمين: سابقين ومقربين وأصحاب ميمنة وذكرت من أهل النار نوعاً واحداً، هم أصحاب المشأمة المكذبون الضالون، وسورة الحديد ضمّت إليهم نوعاً آخر كان الناس يحسبونهم مؤمنين لأنهم

---

(١) سورة الإسراء: من الآية/٨٢.
(٢) ينظر روح المعاني (٢/١٥)، تفسير المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي (٤/٥)، ط٣، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤، الرّوح والرّيحان (٧/١٨).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الإسراء (١٠٣/٦)، رقم الحديث (٤٧٠٨).
(٤) تناسق الدرر، السيوطي(ص٩٨)، تفسير المراغي (١١٣/٥)،الروح والريحان (٢٧٧/١٨).
(٥) البرهان، لابن الزبير الغرناطي، (ص٢٤٨)، ينظر: جواهر البيان- الغماري، (ص٥٠).
(٦) المقصود بوحدة الفاصلة في هذه السور حرف الروي: وهو الحرف الأخير من الفاصلة، فكانت هذه السور رويها حرف واحد باستثناء ست آيات فقط، ينظر: مصاعد النظر للإمام البقاعي (٢٣٠/٢)، الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي (ص١٣٩).

كانوا يظهرون الإيمان)[1] فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

(١) جواهر البيان- الغماري، (ص١١٣)، ينظر تفسير المراغي (١٥٦/٩).
(٢) سورة الحديد: الآيتان/ ١٣، ١٤.

فكانت المناسبة بين السورتين ظاهرة.

أما مناسبتها لما تليها وهي سورة المجادلة، ففي هذه السورة (ذكر نوعاً آخر من الكفر أوجب لهم الخلود في النار وهو موالاتهم لليهود)[1] في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ﴾[2].

فكانت هذه السور الثلاث متناسبة جداً فسورة الواقعة ذكرت نوعاً من أهل النار وهم المكذبون الضالون وسورة الحديد ضمّت اليهم نوعاً آخر وهم المنافقون وسورة المجادلة ذكرت نوعاً آخر من الكفر، أوجب لهم النار وهو موالاة اليهود.

يقول الإمام السيوطي في ترتيب المجادلة بين الحديد والحشر: (وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر، مع تآخيهما في الافتتاح بـ(سبح))[3].

أما مناسبة سورة الحشر للسورة التي تسبقها وهي سورة المجادلة ففي سورة المجادلة قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾[4] (ذكر في سورة الحشر أنه سلط رسوله والمؤمنين على اليهود فأجلوهم، وإن موالاة المنافقين لهم لن تنفعهم)[5]. في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[7].

فكانت المناسبة بين السورتين ظاهرة.

أما مناسبتها للسورة التي تليها وهي سورة الممتحنة.

---

(١) جواهر البيان- الغماري (ص١١٤).
(٢) سورة المجادلة: الآيتان/١٤، ١٥.
(٣) تناسق الدرر، (ص١٢٢).
(٤) سورة المجادلة: من الآية/١٤.
(٥) جواهر البيان: (ص١١٧)، ينظر: تفسير المراغي، (٣٠/١٠).
(٦) سورة الحشر: الآية/٢.
(٧) سورة الحشر: الآية/١١.

فقد ذكر الله في سورة الحشر (خذلان اليهود والمنافقين، وكان للمؤمنين فيهم قرابة وصداقة ومعاملة يوادونهم لأجلها، نهى في هذه السورة موالاة الكفار عموماً لأنهم أعداؤه وأعداء المؤمنين)[1]. وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ..... إلى قوله تعالى لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ ﴾[2].

فكان النهي عن موالاة الكفار في سورة المجادلة، وفي الممتحنة أيضاً النهي عن موالاتهم والتبري منهم، يقول ابن الزبير الغرناطي في مناسبة هذه السور: (وكأن الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تمهيد الكلام وتنبيه السامع على ما به تمام الفائدة لما ذكر شأن المؤمنين أنهم لا يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم، واعترض بتنزيهه عن مرتكباتهم – أي أفتتاح سورة الحشر- ثم اتبع ذلك ما عجله لهم من النقمة والنكال، ثم عاد الأمر إلى النهي عن موالاة الأعداء جملة)[3].

أما مناسبة سورة الصف للسورة التي تسبقها وهي سورة الممتحنة. فأنه ذكر سبحانه في الممتحنة الجهاد في سبيل الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ ﴾[4].

بسط في هذه السورة الجهاد وناسب أن يعاقب المؤمنين على تباطئهم من القيام بهذا العمل الجليل الذي أخبر به أنه تجارة رابحة[5] في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ ﴾[6].

---

(١) جواهر البيان، (ص١١٨)، ينظر: تفسير المراغي (٦٠/١٠).
(٢) سورة الممتحنة: الآيات ١، ٢، ٣.
(٣) البرهان في ترتيب سور القرآن (ص ٣٣٣).
(٤) سورة الممتحنة: الآية/٩.
(٥) ينظر: تناسق الدرر، السيوطي(ص١٢٣)، جواهر البيان، الغماري(ص١١٩)، تفسير المراغي (٧٩/١٠).
(٦) سورة الصف: الآيات ١٠، ١١، ١٢.

أما مناسبتها للسورة التي تليها وهي سورة الجمعة، أنه تعالى لما ذكر في سورة الصف حال موسى مع قومه وأذاهُم له، ناعياً عليهم ذلك، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى ﴾[1]. ذكر في هذه السورة حال الرسول ع، وفضل أمته، تشريفاً لهم ليظهر فضل ما بين الأمتين.

وذكر في الصف قول عيسى: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2]. وفي هذه السورة قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[3] وهذه مناسبة ظاهرة[4].

ويقول الإمام السيوطي في مناسبة هذه السورة: (تلك الصف، والصفوف تشرع في موضعين: القتال، والصلاة، فناسب تعقيب صف القتال بسورة تستلزم الصف ضرورة وهي الجمعة لأن الجماعة شرط فيها، دون سائر الصلوات)[5].

أما مناسبة سورة الجمعة للسورة التي قبلها وهي سورة الصف فقد تقدم، أما مناسبتها لما تليها وهي سورة المنافقون: (إن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون، وهذه ذكر فيها أضدادهم وهم المنافقون)[6].

وكذلك مناسبة سورة التغابن لما قبلها وهي سورة المنافقون، إن الله سبحانه وتعالى (حذر في السورة السابقة من المنافقين ففي قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[7] فاخبر في هذه السورة أن بعض أزواج المؤمنين وبعض أولادهم أعداء لهم، يثبطونهم عن فعل الخير، كما يثبطهم المنافقون، وحذرتهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا

---

(١) سورة الصف: من الآية ٥.
(٢) سورة الصف: من الآية ٦.
(٣) سورة الجمعة: من الآية ٢.
(٤) ينظر: تناسق الدرر السيوطي(ص١٢٤)، جواهر البيان- الغماري(ص ١٢٠)، البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٣٣٦)، تفسير المراغي (٩٧/١٠).
(٥) تناسق الدرر، السيوطي، (ص١٢٤)، ينظر: روح المعاني (٨٣/٢٨)، الرّوح والرّيحان (٢٤١/٢٩).
(٦) ينظر: تناسق الدرر، السيوطي(ص ١٢٤، ١٢٥)، جواهر البيان، الغماري(ص١٢٢)، تفسير المراغي (١٠٥/١٠).
(٧) سورة المنافقون: الآية/٤.

لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [1] فكانت المناسبة بين السورتين هي التحذير من عدوين متداخلين، قد تخفى عداوتهما، أو يتساهل في الاحتراس منهما، فيعظم الضرر)[2].

وكذلك من المناسبات بين السورتين: (لما وقع في آخر سورة المنافقون: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [3]. عقب بسورة التغابن، لأنه قيل في معناه: إن الإنسان يأتي يوم القيامة، وقد جمع مالاً، ولم يعمل فيه خيراً، فأخذه وارثه بسهولة، من غير مشقة في جمعه)[4].

ثم يروي الإمام السيوطي في هذه المناسبة عن غيره: (وقال بعضهم: لما كانت سورة المنافقون رأس ثلاث وستين سورة، أشير فيها إلى وفاة النبي ع بقوله: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [5]. فإنه مات على رأس ثلاث وستين سنة، وعقبها بالتغابن، ليظهر في فقده ع)[6].

أنها أفتتحت بالتسبيح فكانت بينهما مناسبة الفواتح –وقد بينت- ذلك في مناسبة فواتح أكثر من سورة.

أما ارتباط المسبحات ببعضها رغم الفصل بينهما، فيقول الإمام السيوطي (إن سورة الجمعة ذكر فيها المؤمنون وسورة المنافقون ذكر فيها أضدادهم وهم المنافقون، والتي بعدها –أي التغابن- فيها ذكر المشركون والسورة التي قبل الجمعة –أي الصف- فيها ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والتي قبلها وهي الممتحنة فيها ذكر المعاهدين من المشركين، والتي قبلها وهي الحشر فيها ذكر المعاهدين من أهل الكتاب.... وبذلك اتضحت المناسبة في ترتيب هذه السور الست هكذا، لاشتمالها على أصناف الأمم، وفي الفصل بين المسبحات بغيرها، لأن إيلاء سورة المعاهدين من أهل الكتاب بسورة المعاهيدن من المشركين أنسب من غيره، وإيلاء سورة المؤمنين بسورة المنافقين أنسب من غيره. فظهر بذلك أن الفصل بين المسبحات التي هي نظائر لحكمة دقيقة من لدن حكيم خبير)[7].

---

(١) سورة التغابن: الآية/١٤.
(٢) جواهر البيان، الغماري(ص١٢٣)، ينظر: تفسير المراغي (١١٨/١٠).
(٣) سورة المنافقون: جزء من الآية/١٠.
(٤) تناسق الدرر، السيوطي(ص١٢٦).
(٥) سورة المنافقون: من الآية/١١.
(٦) تناسق الدرر، السيوطي(ص ١٢٦)، وقد أورد هذا القول في الاتقان (٣٠/٤)غير معزو كما هنا، وهذا ما أشار إليه محقق كتاب تناسق الدرر.
(٧) تناسق الدرر، السيوطي: (ص١٣٥).

ويمكن توضيح هذه المناسبة بالشكل الآتي:

سورة الحشر	ذكر فيه	المعاهدين من أهل الكتاب	أصناف الأمم
سورة الممتحنة	.....	المعاهدين من المشركين	
سورة الصف	.....	اليهود والنصارى	
سورة الجمعة	.....	المؤمنون	
سورة المنافقون	.....	المنافقون	
سورة التغابن	.....	المشركون	

ومن هذه النماذج يتضح أن المناسبة بين السورة وما تليها قد تكون الثانية متتمة للأولى أو تكون خاصة بالجانب الشكلي مثل الفاصلة وما يتبعها من تناسب حرفي وصوتي[1] أو بيان لما أُجمل في سورة سابقة، وهذا كله يسهم في تحقيق المناسبة بين السورة وما تسبقها وما تليها.

أما مناسبة سورة التغابن للسورة التي تليها وهي سورة الطلاق.

يقول الإمام السيوطي: (لما وقع في سورة التغابن: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ [2] وكانت عداوة الأزواج تفضي إلى الطلاق، وعداوة الأولاد قد تفضي إلى القسوة، وترك الانفاق، عقب ذلك بسورة فيها ذكر أحكام الطلاق، والأنفاق على الأولاد والمطلقات)[3].

وقد أفتتحت الثانية بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [4]

فكانت المناسبة بين السورتين ظاهره.

---

(١) يظهر هذا التناسب في السور التي تنتهي بفاصلة واحدة –أي المتماثلة في الحرف الأخير- مثل: الإسراء والكهف ومريم وطه، وكذلك في سورتي الأعلى والليل حيث تنتهي فواصلها بالألف المقصورة، ينظر الفاصلة في القرآن،محمد الحسناوي (ص١٤٧)، البرهان، للزركشي: (٦١/١).

(٢) سورة التغابن: الآية/١٤.

(٣) تناسق الدرر: السيوطي(ص١٢٦)، ينظر: البرهان لابن الزبير الغرناطي (ص٣٣٩، ٣٤٠)، تفسير المراغي (١٣٣/١٠).

(٤) سورة الطلاق الآية / ١.

أما مناسبة سورة الأعلى لما قبلها وهي سورة الطارق.

إن سورة الطلاق (لفتت النظر إلى خلق الإنسان: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ [1]. فجاءت هذه السورة –أي سورة الأعلى- لبيان نعم الله على هذا الإنسان وما يحتاج إليه ويقوم به، فأقتضى ذلك تنزيهه وتقديسه تعالى)[2].

وأما مناسبتها للسورة التي بعدها وهي سورة الغاشية.

لما تقدم قوله تعالى في الأعلى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ ﴾ [3] جاءت هذه السورة لتبين مقام كل واحد من الفريقين: أهل الجنة وأهل النار لتثني المغرورين عما هم فيه، وترغب المؤمنين إلى ما هم صائرون إليه مع إقامة الدليل على القدرة الألهية، من خلال إلفات النظر إلى بعض مخلوقات الله)[4].

يتبين مما تقدم مناسبة كل سورة من سور المسبحات لما قبلها وما بعدها من السور، وفي هذا سر من أسرار الترتيب في المصحف بحيث إن كل سورة جاءت في مكانها المناسب.وذات علاقة بموضوع السورة التي قبلها والتي بعدها.

أما سور المسبحات فيما بينها والتي لم تكن متوالية في الترتيب مع كونها نظائر، فإن وجوه المناسبة فيما بينها هي مناسبة الفواتح حيث تجمعها وحدة دلالية هي التسبيح، أما وحدة الموضوع فكانت بين سورة الحديد والتغابن من حيث اجتماع السورتين في ذكر خلق السموات والارض، وذكر الاموال والاولاد والفتنة بهما [5]

---

(١) سورة الطارق: الآية/٥.

(٢) البر هان لا بن الزبير الغر ناطي: (ص٣٦١)، ينظر تناسق الدرر للسيوطي(ص ١٣٥- ١٣٦)، روح المعاني (١٠١/٣٠)، الرّوح والرّيحان (٣٤٢/٣١).

(٣) سورة الأعلى: الآيتان ١٦، ١٧.

(٤) البر هان لا بن الزبير الغر ناطي(ص٣٦٢)، ينظر: جواهر البيان للغماري(ص١٤٥)، تفسير المراغي (١٣١/١٠).

(٥) ينظر: ملاك التأويل (٤٦٨/٢).

المبحث الرابع
مناسبة القصة الواحدة في أكثر من سورة

إن إيراد القصة الواحدة في أكثر من سوره وفي مواضع متعددة، وبصور شتى، هو لمناسبة هذه المواقف من القصة مع السورة التي ذكرت فيها.

وهذا ما أكده الإمام البقاعي حيث قال: (وبه –أي علم المناسبات- يتبين لك أسرار القصص المكررات، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد أنكشافها)[1].

وأقصد بالقصة هنا، تلك القصة التي تدور حول نبي من أنبياء الله؛ إذ إن القرآن الكريم به قصص كثيرة غير الأنبياء، وقد ركزت البحث هنا حول قصص الأنبياء لأن القصص الخاصة بهم هي التي تتكرر في الغالب (ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها –غالباً- إنما هو تكرار بعض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة كلها، فلا يكرر إلا نادراً، ولمناسبات خاصة في السياق)[2].

في حين أن القصص الأخرى مثل أصحاب الكهف، وذي القرنين وغيرهما لم تذكر إلا مرة واحدة على الأكثر، ومن ثم فلا جدوى لذكر مثل هذه القصص عند الدراسة، إذ الهدف هو إبراز وظيفة هذا التكرار في تحقيق المناسبة بين السور الوارد فيها القصص.

نهدف من هذا المبحث إلى إثبات أمرين أثنين:

أحدهما: إثبات المناسبة بين نصوص القصة الواحدة المذكورة في أكثر من سورة، بحيث تمثل كل سورة مرحلة من مراحل القصة.

الثاني: إن ذكر القصة في أكثر من سورة يمثل أو يسهم في تحقيق المناسبة بينهما، إذ أن ذكر القصة بهذه الكيفية يعد نوعاً من أنواع المناسبة بين السور.

تكرار القصة لابد أن يكون له فائدة معينة؛ حيث إن (المقصود أنه لا مكرر في القرآن، فإن رأيت شيئاً مكرراً من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة من أعادته)[3].

---

(١) نظم الدرر (٨/١).

(٢) التصوير الفني (ص١٥٥- ١٥٦).

(٣) جواهر القرآن: لأبي حامد الغزالي (ص٦٧)، تحقيق وسام الخطاوي، كاظم الأسدي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ط١، بيروت ٢٠٠٩م، ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب

هذا هو هدف هذا المبحث؛ بيان فائدة تكرار القصة، أو تكرار جانب من القصة، على مستوى القصة نفسها، وعلى مستوى السور المشتملة على تلك الجوانب.

إذ أن (التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، فيجعل الجمال الفني أداة مقصوده للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية)[1].

وإن ما نهدف إليه من هذا المبحث قد نبه إليه الإمام السيوطي في حديثه عن الآيات المشتبهات حيث قال: (والقصد به: إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، بل تأتي في موضع واحد مقدماً، وفي آخر مؤخراً... وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات)[2].

وبالطبع لن يسع المقام لدراسة القصص الواردة في القرآن كله، لكن سنحاول دراسة القصص التي لها علاقة بموضوع الدراسة، وكشف وظيفة تكرار القصة في تحقيق المناسبة بين السور الواردة فيها تلك القصص، وفي البداية أعرض في الجدول الآتي تكرار القصص، والأنبياء، الوارد ذكرهم والآيات والسور.

والشاعر، (٨/٣)، تحقيق: د.أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة- (د.ت).

(١) التصوير الفني (ص١٤٣).

(٢) الاتقان (٢٢٤/٢)، معترك الاقران (٦٦/١).

ت	أسم النبي	عدد المواضع	عدد السور	السور
١	آدم	٢٥	٩	البقرة- آل عمران- المائدة- الأعراف- الإسراء- الكهف
٢	أدريس	٢	٢	مريم- الأنبياء
٣	نوح	٤٣	١٤	آل عمران-النساء-الأنعام-الأعراف- التوبة- يونس
٤	هود	٧	٣	الأعراف- هود- الشعراء
٥	صالح	٩	٣	الأعراف- هود- الشعراء
٦	إبراهيم	٦٣	٢٥	البقرة-آل عمران- النساء- الأنعام- التوبة- هود- يوسف- إبراهيم- الذاريات- النجم- الحديد- الممتحنة- الأعلى
٧	إسحق	١٦	٨	البقرة-آل عمران- النساء- الأنعام-إبراهيم- مريم
٨	إسماعيل	١٢	٨	البقرة-آل عمران-النساء-الأنعام- إبراهيم- مريم
٩	لوط	٢٧	١٤	الأنعام-الأعراف-هود- الحجر-الأنبياء-الحج
١٠	يعقوب	١٦	١٠	البقرة-آل عمران-النساء- الأنعام-هود
١١	يوسف	٢٦	٣	يوسف- الأنعام-غافر
١٢	شعيب	١٠	٤	الأعراف-هود-الشعراء-العنكبوت
١٣	موسى	١٣٦	٣٤	البقرة-آل عمران-النساء-المائدة-الأنعام-الأعراف-المؤمنون-الفرقان-الشعراء-النحل-القصص-العنكبوت-الذاريات-النجم-الصف-النازعات-الأعلى.
١٤	داود	١٦	٩	البقرة-النساء-المائدة-الأنعام-الإسراء
١٥	سليمان	١٦	٧	البقرة-النساء-الأنعام- الأنبياء-النحل
١٦	أيوب	٤	٤	النساء- الأنعام-الأنبياء-ص
١٧	يونس	٤	٦	[ذكر بأسمه] النساء- الأنعام-يونس-الصافات
١٨	زكريا	٨	٤	آل عمران-الأنعام-مريم-الأنبياء
١٩	يحيى	٥	٤	آل عمران-الأنعام-مريم-الأنبياء
٢٠	عيسى	٣٥	١٣	البقرة-آل عمران-النساء- المائدة-الأنعام
٢١	محمد	٤	٤	آل عمران-الأحزاب-محمد-الفتح[١]

فأكثر الأنبياء ذكراً موسى عليه السلام؛ إذ ورد في (١٣٦) موضعاً في (٣٤) سورة، والملاحظ إن الذي تتكرر تكريراً تاماً هو أسم موسى عليه السلام، أما الحلقات الأساسية فلم تكرر تقريباً؛ وإذا كررت حلقة منها جاءت بشيء جديد في تكرارها، فإن ما ذكر في هذه السور هو مواقف متعددة، تمثل في النهاية قصة كاملة.

---

(١) أنظر تفاصيل هذه المواضع في السور:

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث.
- قصص الأنبياء، ابن كثير، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان- ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الفكر- بيروت.

في حين أن ذكر (محمد) ع لم تجد سوره –تقريباً- خالية من الحديث إليه أو عنه، لكن بالصفات أحياناً، وبالضمائر أحياناً أخرى.

تبدأ القصة من أول حلقة فيها: من مولد موسى إبان اضطهاد قومه، فوضعه في التابوت وإلقائه في البحر، والتقاط آل فرعون له، وتحريم المراضع عليه، وقول أمه لأخته أن تقص أثره، ومعرفتها بأمره، وإشارتها على آل فرعون بمرضع للطفل هي أمه. ثم كبره. ثم قتله للمصري، ومحاولته قتل آخر، وتهديده إياه بإفشاء سر القتلة الأولى، ونصح رجل له بالهرب وقد جاءه من أقصى المدينة يسعى. وخروجه إلى أرض مَدْيَنَ. والتقائه ببنتْي شعيب. وسقيه لهما، وإعجاب إحداهما به، وحضها أبيها على استخدامه، وعمله مع شعيب، وزواجه بابنته حسب شرطه. ثم انفصاله عنه وذهابه بأهله. ثم رؤيته النار (التي بدأت منها القصة في سورة طه) ثم تسير القصة في هذه السورة بزيادة واحدة هي تهكم فرعون في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ (١). وتنتهي عند حلقة غرق فرعون، بعد خروج موسى(٢).

ومن ثم فالقول بتكرار القصة نفسها أكثر من مرة، ليس مطلقاً بل الغالب عدم تكرار القصة الواحدة، غير أن الذي يجمع بين هذه المواقف كلها، أنها تدور حول شخص نبي الله موسى، وما تعرض له من أحداث.

وهذه المواقف –في مجملها- تكوّن القصة الكاملة لموسى عليه السلام، وهنا يبرز التناسب بين هذه المواقف المكونة للقصة؛ فهي تقسم إلى عدة حلقات، تعرض كل منها في سورة، أو أكثر أحياناً، مع أختلاف الأسلوب في التقديم والتأخير والإيجاز والأطناب، وتغير الفواصل، بما يتلائم مع جو السورة العام وهدفها.

فكانت حلقات من هذه القصة في ثلاث سور من المسبحات من مجموع السور التي ذكرت فيها القصة.

ففي سورة الأعلى إشارة قصيرة: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ (٣) وفي سورة الإسراء إشارة سريعة إلى إغراق فرعون والتمكين لبني إسرائيل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ

---

(١) سورة القصص: الآية/٣٨.

(٢) تنظر تفاصيل هذه المواقف كلها في: قصص الأنبياء، لابن كثير (ص٢٥٧-٣٥٣)، قصص الأنبياء، عبد الو هاب النجار (ص٢٨٩- ٣٦٠)، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، التصوير الفني في القرآن (١٥٦: ١٦٢).

(٣) سورة الأعلى: الآية ١٨، ١٩.

وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

وفي سورة الصف إشارة قصيرة إلى إيذاء بني إسرائيل لموسى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[2].

وإذا كانت المناسبة بين هذه المواقف حدثت بسبب كونها حلقات لقصة نبي واحد، فإن السور التي وردت بها هذه المواقف تتضح المناسبات فيما بينها، أربع وثلاثون سورة، تتناول قصة موسى، وكلها فيها حديث إلى رسول الله وكلها تعالج قضية الألوهية[3] وما يتعلق بها، وكلها تكون واحدة من حيث القضية والتناول، إذاً فهي متناسبة.

وقصة أخرى، قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام، إذ تحتل المرتبة الثانية في عدد مرات الورود في القرآن الكريم، حيث وردت في خمس وعشرين سورة في ثلاثة وستين موضعاً من الذكر الحكيم، وهذه السور تعرض لمواقفه عليه السلام: مثل حلقة إيمانه، ومحاورته لأبيه وقومه ونصحه لهم، وموقفه السلبي من الأصنام، وأعتزاله أبيه وقومه، وهبة إسماعيل وإسحاق له، ورؤياه أنه يذبح أبنه، وافتداؤه، وبناء الكعبة والتأذين في الناس بالحج.

وطلبه من ربه برهاناً على إحياء الموتى، لا ليؤمن فقد آمن، ولكن ليطمئن قلبه، حيث أمره الله أن يأخذ أربعة من الطير، فيضمهن إليه، ثم يجعل على كل جبل منهن جزءاً، ثم يدعوهن إليه سعيا... وغيرها من المواقف التي تمثل قصة إبراهيم عليه السلام[4].

فكانت حلقات من هذه القصة في سورتين من سور المسبحات من مجموع السور التي ذكرت فيها هذه القصة.

---

(١) سورة الإسراء: الآيات (١٠١- ١٠٤).

(٢) سورة الصف: الآية/٥.

(٣) من أغراض القصة في القرآن (إثبات الوحي والرسالة، وإثبات وحدانية الله، وتوحد الأديان في أساسها، والأنذار والتبشير، ومظاهر القدرة الألهية، وعاقبة الخير والشر، والصبر والجزع، والشكر والبطر وكثير غيرها من الأغراض الدينية، والمرامي الخلقية) ينظر: التصوير الفني (ص١٤٤).

(٤) ينظر: قصص الأنبياء، ابن كثير (ص١١٣- ١٦٣)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار (ص١٠٣- ١٢٩)، التصوير الفني (ص١٦٦).

ففي سورة الحديد إشارة سريعة إلى هذا النبي: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[1].

وفي سورة الأعلى: أيضاً كانت الإشارة سريعة ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ ﴾[2].

فالقصة واحدة، والنبي واحد، وتكرر أسمه في هذه المواضع جميعاً، ومن ثم تظهر المناسبة بين المواقف المكونة لقصته، على الرغم من ورودها في خمس وعشرين سوره.

وقصة أخرى هي قصة عيسى عليه السلام، إذ ورد في (٣٣) موضعاً في (١٣) سورة، أثنان منها من سور المسبحات، فتبدأ من مولده، وهو يعرض بتفصيل كامل، ذلك أن مولده هو الآية الكبرى في حياته؛ وحول هذا المولد قام الجدل كله، ومن ثم معجزاته، وقصته مع الحواريين حين طلبوا المائدة فأنزلت إليهم، وتذكر حلقة تكذيبه ومحاولة صلبه ورفعه، وتفرق قومه من بعده، وتصوير موقفه يوم القيامة يسأل الله: إن كان قد قال لقومه أتخذوني وأمي إلهين من دون الله، فيتبرأ من ذلك إليه، ويذكر أن دعاهم لله وحده، وأنه يدع أمرهم لله إن يشأ يرحمهم وإن يشأ يعذبهم، وغيرها من المواقف التي تصورها القصة[3].

فكانت حلقات من هذه القصة في سورتي الحديد والصف.

ففي سورة الحديد ﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧ ﴾[4].

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٦.
(٢) سورة الأعلى: الآية ١٨، ١٩.
(٣) ينظر: قصص الأنبياء، لابن كثير (ص٤٧٣- ٥٣٤)، قصص الأنبياء (ص٢٠١- ٢١٢)، التصوير الفني (ص ١٦٥).
(٤) سورة الحديد: الآية/٢٧.

وفي سورة الصف: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١).

فالقصة واحدة والنبي واحد، وتكرر اسمه في هذه المواضع جميعاً، ومن ثم تظهر المناسبة بين المواقف المكونة لقصته على الرغم من ورودها في ثلاث عشر سوره.

وكذلك فالسور: اثنتان منها من المسبحات، ومن ثم فهناك مناسبة قائمة بين هذه السور، تحققت بسبب وحدة القضية، وحدة السور.

فالمناسبة القائمة بين مواقف القصة المذكورة في أكثر من سورة يعد سبباً في تحقيق تلك المناسبة بين هذه السور، إذ كيف تكون هذه القصة متناسبة فيما بينها، ولا تكون السور التي تشتمل على هذه القصة متناسبة؟

وقد اثبت –فيما سبق- وجود هذه المناسبة بين السور، عبر عدة أنماط من المناسبة فيما بين هذه السور، والقصة بهذه الوظيفة، تحقق المناسبة على عدة محاور:

أولا: على مستوى القصة نفسها، على الرغم من ذكرها في أكثر من سورة.

ثانياً: على مستوى الموقف، من القصة، المذكورة في السورة، والسورة نفسها؛ فهذا الموقف متناسب مع السورة، إذ يمثل جزءً من أجزائها.

ثالثاً: على مستوى السورة والسور الأخرى التي ذكر فيها مواقف من القصة.

فمكونات القصة إذن، كلمات وعبارات وجمل وآيات، كلها متناسبة، ومكونات السورة، عدة عناصر متناسبة، والقصة أو الموقف واحد من هذه العناصر وسور المسبحات، مكونة من سبع سور يجمع بينها الكثير من الجوانب المحققة للمناسبة فيما بينها.

ومن هذا يتضح مهمة مناسبة ذكر مواقف من قصة واحدة في أكثر من سورة في تحقيق المناسبة فيما بين هذه السور، بسبب ذكر هذه القصة وتكرارها.

---

(١) سورة الصف: الآية/٦.

المبحث الخامس
مناسبة الإجمال والتفصيل بين السور

تفسير القرآن بالقرآن يُعد أصلاً من أصول التفسير، بل يعد أول هذه الأصول، ويوجد غيره، مثل تفسير القرآن بالسنة وأقوال الصحابة... وهكذا، والأصل الأول هو ما نعني به هنا؛ فقد تجمل قصة، أو يجمل حكم، ثم يفصل في مكان آخر، وهذا كثير في كتاب الله العزيز.

فقد يذكر سبحانه امراً عاماً في موضع ثم يخصصه في موضع آخر او مجملاً في مكان ثم يفسره في مكان آخر أو مختصراً في مكان ثم يبسطه في مكان آخر.[1]

والتفصيل يحمل علاقة لما أجمل من قبل وهذه العلاقة تمثل مناسبة من المناسبات بين آيات السورة الواحدة –كما بيّنا- وبين السور مع بعضها كما سنبين هنا.

وهذه العلاقة من أهم علاقات المناسبة على مستوى النص القرآني.

ومن أبرز هذه النماذج الإجمال والتفصيل بين سورة الفاتحة، وبقية سور القرآن الكريم، فيذكر الإمام الرازي أن الفاتحة: (مسماة بأم القرآن، توجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه... فهذه السورة جامعة لجميع المقامات المعتبرة في معرفة الربوبية، إلى قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ ومعرفة العبودية تبدأ من ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾[2].

ويذكر القرطبي أن (جميع القرآن فيها، وهي خمسة وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن... وتضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير)[3].

وربط السيوطي بينها وبين براعة الاستهلال[4]؛ وذكر أن فيها جميع مقاصد القرآن؛ (علم الأصول... ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ومعرفة النبوات...

---

(١) ينظر: مقدمة في اصول التفسير، ابن تيميه (ص٩٣)، تحقيق الدكتور: عدنان زرزور،ط٢، ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م، التفسير والمفسرون للذهبي (٤٠/١)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان(ص٣٠٥)، ط١، بيروت، دراسات في التفسير والمفسرين (ص١٢)، د.عبد القهار داود العاني، مطبعة أسد، بغداد/١٩٨٧.

(٢) مفاتيح الغيب (٣٢٧/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩٦/١).

(٤) البراعة هي التفوق، والاستهلال: الافتتاح والابتداء، وإنما سُمي هذا النوع الاستهلال لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به، وبراعة الاستهلال هي من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء الكلام ونقاد الشعر وجهابذة الألفاظ، وإذا نظرت إلى فواتح السور القرآنية جملها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن في الفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر

﴿ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وعلم السلوك... ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾... وعلم القصص... ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾. وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال)[1].

ويتبين من خلال ما تقدم كون القرآن مفصلاً للإأجمال الكائن في سورة الفاتحة وهي السورة الأولى في الترتيب المصحفي وما تليها من سور القرآن مفصلة لذلك الإجمال، فهي إذاً تربطها علاقة مع بقية السور التالية لها إلى آخر سورة الناس، وهذه العلاقة ما نعنيه بالمناسبة الإجمال والتفصيل بين السور.

ومن النماذج بين آيات في سورتي الإسراء والكهف.

ففي الإسراء قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[2].

معناه، ينظر: أنوار الربيع، المدني (٥٦/١)، تحرير التحبير، المصري (ص١٦٨)، قانون البلاغة، البغدادي (ص٤٥٠).

(١) الاتقان (٣١٨/٣).

(٢) سور الإسراء: الآية/١٠٤.

وفي الكهف قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨ ۞ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴾ [1].

(فكانت هذه الآيات تفصيل لما أجمل في سورة الإسراء)[2].

وبين الإسراء والبقرة. ففي سورة البقرة قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴾ [3] وفي الإسراء: ﴿ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ [4]. حيث كانت هذه الآية: (بيان لعلة الإباء الذي أُجمل في البقرة)[5].

وكذلك بين سورة الحديد والأعراف، ففي سورة الأعراف: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ ﴾ [6] ذكر تعالى في هذه الآية: (أن بين أهل الجنة وأهل النار حجاباً يوم القيامة وقال في سورة الحديد: ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾ [7]. وهذه الآية بينت هذا الحجاب)[8].

وبين الحديد والنساء، ففي سورة النساء قال تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [9].

ففي هذه الآية ذكر أن فضل المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة حيث (لم يتعرض لتفضيل بعض المجاهدين على بعض وفي الحديد

---

(١) سورة الكهف: الآية/٩٨- ١٠٠.
(٢) البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٢٤٨).
(٣) سورة البقرة: الآية/٣٤.
(٤) سورة الإسراء: الآية/٦١.
(٥) تناسق الدرر(ص٣٤).
(٦) سورة الأعراف: جزء من الآية ٤٦.
(٧) سورة الحديد: الآية: ١٣.
(٨) أضواء البيان(ص٢٨٨).
(٩) سورة النساء: الآية/٩٥.

قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ (١) وهذا تفصيل لدرجات المجاهدين(٢)).

والملاحظ أن الإجمال يكون في السور المتقدمة، بينما التفصيل يكون في السور التالية لها، وفي هذا يظهر سر من أسرار الترتيب.

وكذلك بين آيات في سورتي الجمعة والبقرة.

ففي سورة البقرة قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣).

كان تفصيل ذلك في سورة الجمعة في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ ﴾ (٤).

إذ إن آيات سورة البقرة (لم تبين من هذه الأمة التي أجاب الله بها دعاء نبيه إبراهيم وإسماعيل، ولم تبين أيضاً هذا الرسول المأمول بعثه فيهم من هو؟ ولكن بينه في سورة الجمعة لأن الأميين العرب بالإجماع، والرسول المذكور هو نبينا محمد ع إجماعاً)(٥).

كما أن دعاء سيدنا ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) كان غير منضبط في الترتيب فقد أخرّ التزكيه عن التعليم. في سورة البقرة.

أما في سورة الجمعة : فقد رتب تعالى العملية في إجابته تعالى دعاء نبيه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام – بانه سيكون هذا النبي مزكياً قبل ان يكون معلماً. فالتزكية – اي التخلي- قبل التحليه، والتربيه قبل التعليم. والايمان قبل العلم.

---

(١) سورة الحديد: الآية/١٠.
(٢) أضواء البيان(ص١٣٩).
(٣) سورة البقرة: الآيتان/١٢٨، ١٢٩.
(٤) سورة الجمعة: الآيتان/٢، ٣.
(٥) أضواء البيان(ص٣٩)، ينظر في ظلال القرآن (٣٥٦٤/٦).

وكذلك في آيات في سورتي الصف والممتحنة، حيث أنهما متواليات في الترتيب، يقول الإمام السيوطي: (في سورة الممتحنة ذكر الجهاد في سبيل الله، بسطه في هذه السورة –أي الصف- أبلغ بسط)[1].

أما سورتي التغابن والطلاق، وهي تالية لها في الترتيب أيضاً.

فإنَّ في سورة التغابن: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[2].

يقول ابن الزبير الغرناطي: (إن هذه السورة –أي الطلاق- وردت منبهة على كيفية الحكم في هذا الافتراق، موضحة أحكام الطلاق... وبين تفصيل ذلك وما يتعلق به... ثم قال: فقد وضح ورود سورة الطلاق في هذا الموضع)[3].

بمعنى أن هذه السورة وردت بعد التغابن مفصلة للإجمال الذي ورد فيها.

وكذلك سورتي الأعلى والغاشية.

ففي سورة الأعلى قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[4] إلى المؤمن والكافر، والنار والجنة إجمالاً، ففي الغاشية بسط صفة الجنة والنار[5]، مستندة إلى أهل كل منهما، فجاءت هذه السورة –أي الغاشية- لتبين مقام كل واحد من الفريقين[6].

والنماذج على ذلك كثيرة في القرآن الكريم تبين علاقة الإجمال والتفصيل في تحقيق المناسبة بين السور التي تشمل على الإجمال والسور التي تشمل على التفصيل، وتبين من خلال النماذج المذكورة في هذا المبحث أن التفصيل يأتي بعد الإجمال نظراً للترتيب.

---

(١) تناسق الدرر(ص١٢٣).

(٢) سورة التغابن: الآية/١٤.

(٣) البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٣٤٠)، تناسق الدرر(ص١٢٦).

(٤) سورة الأعلى: الآيات من ١٠-١٧.

(٥) في قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥)﴾ وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢)﴾.

(٦) ينظر: البرهان في ترتيب سور القرآن(ص٣٦٢)، تناسق الدرر(ص١٣٦).

الخاتمة

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (١).

بعد أن استكملت خيوط رحلتي في رياض علم المناسبات بين سور القرآن الكريم وآياته، فقد توصلت في هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- إن ما تناقله الدارسون في تأريخ علم المناسبة وأول من سبق إلى هذا العلم كان مخطوءاً بينت أسبابه في المبحث الثاني من هذا الفصل، ثم بينت قِدَم هذا العلم. فقد صرح العلماء بقدم هذا العلم وانتشاره بين الجيل الأول من الصحابة والتابعين، وكان أفاضل السلف يعرفونه بما في سليقتهم من أفانين العربية، ثم بدأ يتناقص الى حد الغرابه.

٢- إن للمناسبات بين الآيات أثراً ودوراً واضحاً في تفسير القرآن الكريم، وفي الترجيح بين المعاني وقد تبين ذلك من خلال النماذج التي أوردتها من كتب التفسير.

٣- إن علم المناسبة أساس في التفسير الموضوعي، والتفسير التحليلي.ولا يمكن للمفسر أن يستغني عنه بأي حال من الأحوال، لأنه – أي مفسر عليه اولاً أن يحدد هدف السورة الرئيس أو المحور الذي تدور عليه معاني آياتها،وذلك بأن نبحث عن المعنى الجامع الذي تشترك فيه مقاطع السوره. وبذلك تنكشف عنه مقاصد السورة، ويتعزز موضوعه ويضفي عليه لطائف وحكم. تهيء له معرفة الإعجاز القرآني.

٤- إن السورة من القرآن، تنتقل بقارئها من فن إلى فن ومن موضوع إلى موضوع، وإن تناسب آيات الموضوع الواحد فيها، وترابط موضوعاتها مع أنها نزلت منجمة مفرقة، لهو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

٥- مع أهمية علم المناسبة وفوائده التي قد بينتها، فهناك من العلماء من عارضوه فتبين أن حجتهم كانت ضعيفة في هذه المعارضة.

٦- إن لبعض علمائنا –المبدعين المحققين المدققين- جهوداً طيبة في هذا العلم، فهذه الأسفار العظيمة المدونة في تفسير الآيات والسور القرآنية شاهد على ذلك، حرروا فيها وجوه المناسبات بين الآيات القرآنية ليشاهد القرّاء بُعدها الإعجازي، وجمال الكتاب الرباني، في تناسق ألفاظه، وحسن رصف جمله، ودقة ترتيب آياته في معان متلائمة متلاحمة، وأفكار منتظمة متلاحقة، حتى يظن القارئ أنه أنزل جملة واحدة.

---

(١) سورة النحل: الآية/٥٣.

٧- إن المتأمل لتركيب آيات القرآن، ونظم كلماته، في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، واسلوبه في التوفيق بين القضايا، والاغراض المتنوعة، مع حسن ربط، وبراعة مسلك، كأنه سبيكة واحدة، أو عقد نظيم، يترجح لديه الرأي القائل بأن ترتيبه توقيفي.
وكنت قد قمت باستقصاء جهود العلماء السابقين في علم المناسبات بين السور والآيات وما يتعلق به عند المحدثين ودراسة تلك الجهود، وبعد تفضل الله عليّ وفتحه وإعمال عقلي، في بيان أنواع المناسبات، ووجوه المناسبة، فكانت للعلماء أفكار متناثرة في كتبهم في هذا العلم –مع قلتها- فجمعتها وأضفت إليها وشرحتها ومثلت لها.
٨- فقد تبين أن كل سورة من سور القرآن تظهر المناسبة بين أسمها ومضمونها من خلال ذكر حادثة في السورة أو عبر الآية الأولى فيها وبين اسمها ومقاصدها.
٩- إن لكل سورة مناسبة بين فاتحتها وخاتمتها.
١٠- إن آيات السورة التي تتحدث عن موضوعات شتى بينها مناسبات من حيث تكرار الفاصلة الواحدة التي تتناسب وجو السورة العام،وإن مراعاة الفواصل لا تأتي في النظم القرآني على حساب المعنى، بل تأتي وفقاً له في المقام الاول، فإن تحقيق مراعاتها النسق الشكلي الذي يحقق التناغم الموسيقي بين الالفاظ بعد مراعاة المعنى، ومن خلال علاقة التضاد بين الآية والآيات، ومن خلال الإجمال والتفصيل بين آيات السوره.
١١- تبين أن هناك كثيراً من السور تشترك في فواتحها ومنها المسبحات.حيث تجمعها وحدة دلالية تتمثل بالتسبيح.
١٢- تبين أن هناك مناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ما تليها، وهذه المناسبة في كل سور القرآن.
١٣- تبين أن هناك مناسبة بين كل سورة من القرآن للسورة التي تسبقها والتي تليها، من حيث الموضوع، الذي تتناوله هذه السور.
١٤- تبين أن إيراد القصة الواحدة بصور متعددة وفواصل مختلفة يحقق المناسبة بين حلقات القصة نفسها، وبين هذه الحلقات وأجزاء السورة الموجودة فيها، وبين السور التي ذكرت فيها حلقات من هذه القصة.
١٥- تبين إن هناك مناسبة بين الآيات التي وردت مجملة والآيات التي وردت مفصلة في مواضع أخرى، ومناسبة بين السور التي تحتوي الإجمال والتفصيل بين هذه الآيات، في حين أن الاجمال سابق التفصيل
١٦- توضح المناسبة بعضاً من فكر علماء العربية والمفسريين والبلاغيين، إذ نظر معظمهم من خلال هذه الفكرة الى القرآن الكريم على انه وحدة

متماسكة، ترتبط اجزاؤها بعضها ببعض، ويقترب مفهوم المناسبة كثيراً من مفهوم معاصر يعرف بتحليل الخطاب أو لسانيات النص، وتجدر الاشارة الى ان الكثير من القضايا التي يطرحها المهتمون في مجال تحليل الخطاب نجد اجوبة لها في تراثنا، فكان الاولى بهم الرجوع الى هذا التراث.

رب هذا ما وفقتني إليه، فإن أصبت فمن فضلك، وإن كان غير ذلك فمن نفسي وتقصيري فيسر من يصوب الخطأ ويتم التقصير.

أسأل الله أن تكون هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم، وابتغاء عفوه ورحمته، وأن ينفع بها المسلمين.

وأسأله أن يغفر لي ولوالدي ولأهل بيتي، ولأساتذتي الأفاضل، وأن يورثنا الفردوس الأعلى بصحبة سيدنا رسول الله ع وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، محمد إبراهيم الشريف، دار التراث، ط١، ١٩٨٢م.
٢- إتقان البرهان في علوم القرآن، الدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان،ط١، ١٩٩٧م.
٣- الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي.
- تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث القاهرة- ٢٠٠٦م.
- تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٢م.
٤- الإحكام في أصول الأحكام- للآمدي، دار الفكر، ١٩٨١م.
٥- إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩٤م.
٦- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين بن عبد السلام، دار البشائر الإسلامية، ط١/١٩٨٧م.
٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤٢٤- ٢٠٠٣.
٨- أضواء على ظهور علم المناسبة، د.عبد الحكيم أنيس، مجلة الأحمدية، دار البحوث العربية والإسلامية، دبي، العدد/١١، ٢٠٠٢م.
٩- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، د.محمد أحمد القاسم، دار المطبوعات الدولية، القاهرة ط١ (٣٩٩-١٩٧٩).
١٠- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق، د.عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، دار المعارف بمصر (د.ت).
١١- إعجاز القرآن للخطابي، تحليل ومقارنة ونقد، للدكتور فضل حسن عباس (د.ت).
١٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي- بيروت (لم تذكر).
١٣- إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، شرح وتعليق محمد الخفاجي، دار الجيل، ط١، ١٩٩١م.
١٤- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٩١م.
١٥- أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
١٦- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، تحقيق: جماعة من علماء الأزهر، القاهرة.
١٧- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣.
١٨- بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، الدكتور موسى إبراهيم الإبراهيمي، دار عمار، عمان الأردن، ط٢، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٩- بدائع الفوائد، لابن القيم- الطباعة المنيرية.
٢٠- البداية في التفسير الموضوعي، عبد الحي الفرماوي، ط٢، ١٩٨٤م(د.ط).
٢١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة، ط١، ١٩٤٨م.
٢٢- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف(د.ت).
٢٣- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، والدكتوره خديجة الحديثي، بغداد، ١٩٣٤- ١٩٧٤.

٢٤- البرهان في ترتيب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي تحقيق: محمد شعباني، طبعت على نفقة وزارة الأوقاف المغربية- المغرب ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٢٥- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت.
٢٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصورة دار الفكر، بيروت، ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م.
٢٧- البلاغة العربية اسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكه الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٢٨- البلاغة فنونها وأفنانها، الدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط٢، ١٩٨٩م.
٢٩- بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد الخطّابي، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ومعها رسالة الرماني والجرجاني في الإعجاز، دار المعارف، مصر، ط٤ (د.ت).
٣٠- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة- ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م.
٣١- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مراجعة ابرهيم السامرائي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٧م.
٣٢- تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الفكر للطباعة والنشر.
٣٣- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن ابي الأصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة ١٣٨٣هـ.
٣٤- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، دار الفكر.
٣٥- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، مطبعة أنوار دجلة، بغداد.
٣٦- التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، دار الحكمة، ١٩٨٦م.
٣٧- التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، القاهرة، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
٣٨- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس.
٣٩- تفسير المراغي، الأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، ط٣، مصر ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
٤٠- تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا،دار المعرفة، بيروت ط٢ (د.ت).
٤١- تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله العلوي الشافعي، إشراف ومراجعة: د.هاشم محمد علي، دار طوق النجاة، ط١، ٢٠٠١م.
٤٢- تفسير سورة الناس للبرهان النسفي، تحقيق: د.عيادة أيوب الكبيسي، من إصدارات دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٤٣- التفسير والمفسرون، الدكتور محمد حسين الذهبي، مؤسسة التاريخ العربي وإحياء التراث العربي، بيروت ط٢.
٤٤- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ط٢/القاهرة، ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م.
٤٥- تناسق الدرر في تناسب السور، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ١٤٠٦- ١٩٨٦.
٤٦- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.
٤٧- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٢.
٤٨- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت (د.ت).
٤٩- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة مطبعة محمد عاطف وسيد طه. (د.ت).

٥٠- جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، تحقيق: وسام الخطاوي، كاظم الأسدي، دار الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٥١- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- مصر، ط١/١٣٨٠.
٥٢- الحلل في شرح أبيات الجمل، ابو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي، تحقيق : يحي مراد، دار الكتب العلمية.
٥٣- الدراسات القرآنية بالمغرب العربي في القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير الوافي إبراهيم، كلية الآداب- الرباط، ١٩٩٠م.
٥٤- دراسات في التفسير والمفسرين، د.عبد القهار داود العاني، مطبعة أسد- بغداد ١٩٨٧.
٥٥- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مصورة المطبعة الهندية.
٥٦- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة القاهرة، ١٤٠٠- ١٩٨٠.
٥٧- دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي، مطبعة الدار الحميدية، ط٢ ١٩٨٨م.
٥٨- الديباج المذهب لابن فرحون اليعمري، تحقيق: د.محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٥٩- الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب، تح:حامد الفقي، مصورة، دار المعرفة- بيروت.
٦٠- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لابن عبد الملك المراكشي، تحقيق: د.محمد بن شريف وأحسان عباس، ط١/دار الثقافة، بيروت.
٦١- الرازي مفسراً، للدكتور محسن عبد الحميد، دار الحرية بغداد، (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).
٦٢- رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن، محيي الدين بن عربي، تحقيق: محمد الغراب- مطبعة نصر- دمشق.
٦٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود بن عبد الله الآلوسي، ضبطه وصححه علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.
٦٤- سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي(ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد صبيح بمصر، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م.
٦٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق عبد السلام علوش، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٦٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٩م.
٦٧- شرح ابن عقيل- بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١١- ١٩٩١.
٦٨- صبح الأعشى في صناعة الانشا، للقلقشندي، نسخة مصورة من الطبعة الأميرية بمصر، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.
٦٩- الصحاح،اسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
٧٠- صحيح البخاري- الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧١- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٩٥٦.
٧٢- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، طبعة المانيا الغربية ط٦، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
٧٣- صور البديع، فن الأسجاع، لعلي الجندي- دار الفكر العربي- القاهرة، ١٣٧٠- ١٩٥١م.
٧٤- الطبقات الكبرى للإمام تاج الدين ابن نصر عبد الوهاب السبكي، تحقيق: محمود علي الطناحي وعبد الفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١.
٧٥- طبقات المفسرين للأدنتروي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ٣٩٦- ١٩٧٦.

٧٦- طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق:محمد علي عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١/١٣٩٦- ١٩٧٦.
٧٧- طبقات المفسرين، للداودي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، القاهرة، ١٩١٤م.
٧٩- عظمة القرآن، عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٤م.
٨٠- العقل وفهم القرآن، الحارث المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.
٨١- علم الاعجاز بين الفن والتاريخ، الدكتور خليل رجب حمدان الكبيسي، دار عبادي للنشر والطبع، اليمن.
٨٢- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د.محمد صبحي الفقي، دار قباء للطباعة والنشر- القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠٠٠م.
٨٣- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن، د.نور الدين عتر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، دبي، العدد/١١ لسنة ١٩٩٥م.
٨٤- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الامام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، مطابع دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع،ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٨٥- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار، عمان، الأردن، ط٢، ١٤٠٦- ١٩٨٦م.
٨٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.
٨٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: السيد إبراهيم، دار الحديث، ط١، ١٩٩٣م.
٨٨- فضائل القرآن، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٨٩- فهرس الفهارس والإثبات، عبد الحي الكتاني، المطبعة الجديدة بالطالعة، فاس، ١٩٤٦م.
٩٠- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، الامام شمس الدين محمد بن ابي بكر بن القيم الجوزية، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٧هـ.
٩١- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الحديث، القاهرة (د.ت).
٩٢- قانون البلاغة، أبو طاهر محمد بن حيدر البغدادي (مطبوع في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي) ط٤، القاهرة، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.
٩٣- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، قطر، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٩٤- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الفكر، بيروت (د.ت).
٩٥- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، الدكتور محمد حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٨٩م.
٩٦- كشف الظنون، حاجي خليفة، دار الفكر.
٩٧- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي(ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط١/١٩٩٩م.
٩٨- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، ط١٩٦٨م.
٩٩- لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، الدكتور محمود احمد نحلة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١م.
١٠٠- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط١/١٩٨٩.
١٠١- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار الملايين، ط١٦، ١٩٨٥.
١٠٢- المبادئ الأساسية لفهم القرآن، أبو الأعلى المودودي، تعريب خليل حامدي، الدار الكويتية، ط١، ١٩٨٦م.
١٠٣- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه، د.أحمد الحوفي ود.بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت).

١٠٤- المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، محمد محمد المدني، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة.
١٠٥- محمود شكري الآلوسي، سيرته ودراساته اللغوية، محمد بهجة الأثري، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق- الكويت ط١- ١٤١٦- ١٩٩٥.
١٠٦- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبد الله درّاز، دار القلم، ط٣، ١٩٨١م.
١٠٧- مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، د.فاروق حمادة، دار الثقافة للطباعة والنشر، البيضاء/ط١.
١٠٨- المذهب البديعي في الشعر والنقد، رجاء عيد، منشأة المعارف للطباعة والنشر، الاسكندرية.
١٠٩- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، للإمام عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق:الدكتور محمد يوسف الشربجي والمنشورة في مجلة الأحمدية العدد/٤ لسنة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١١٠- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق:الدكتورعبد السميع محمد احمد حسنين، مكتبة المعارف- الرياض ط١ ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
١١١- المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك- القاهرة ١٣٤١هـ.
١١٢- مع القاضي ابي بكر بن العربي، سعيد إعراب، دار الغرب الإسلامي ط١، ١٩٨٧م.
١١٣- معاني القرآن، ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ج١، ١٩٥٥م.
١١٤- معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك للطبع والنشر- القاهرة ١٤٢٣- ٢٠٠٣.
١١٥- معترك الاقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١١٦- معجم الأدباء، ياقوت حموي، تحقيق: د.إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١/١٩٩٣م.
١١٧- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدكتور أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، ط١ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
١١٨- معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية ط٣، ١٩٨٣م.
١١٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث ١٩٨٨م.
١٢٠- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية- القاهرة.
١٢١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ)، دار الجيل بيروت.
١٢٢- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٩٥.
١٢٣- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط١، دار القلم، ١٩٩٢م.
١٢٤- مفهوم الأدبية في التراث النقدي، توفيق الزيدي، سراس للنشر، تونس ١٩٨٥.
١٢٥- المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: محمد توفيق حسين، دار الآداب، ط١، بيروت، ١٩٨٩م.
١٢٦- مقدمة في اصول التفسير، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق، الدكتور، عدنان زرزور، دار القرآن الكريم للطباعة والنشر، ط٢، الكويت، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
١٢٧- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لابن المفلح، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١/١٤١٠- ١٩٩٠.
١٢٨- ملاك التأويل القاطع بذوي الآلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد ابن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
١٢٩- من بلاغة القرآن، الدكتور احمد احمد بدوي، مطبعة نهضة مصر، ط٢، ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م.
١٣٠- مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، دار المعرفة- بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
١٣١- منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن- عبد الله شحاته- نشر الرسائل الجامعية القاهرة- ط١٩٧٠.

١٣٢- المنهج الحركي في ظلال القرآن، للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار المنارة ط١، ١٩٨٦.
١٣٣- منهج مناسبات الآيات القرآنية وتطبيقه على سورة الإسراء، رسالة ماجستير، علي عبد الله علان، إشراف: د.فضل حسن عباس، الجامعة الأردنية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
١٣٤- الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق عبد الله درّاز، دار المعرفة لبنان، ط١، ١٩٩٤.
١٣٥- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، أحمد الهاشمي، المكتبة التجارية الكبرى، ط١٦، ١٩٦٦م.
١٣٦- الناسخ والمنسوخ، ابو بكر بن العربي، تحقيق: د.عبد الكريم العلوي المدغري، دار المناهل- القاهرة، ١٩٩٢.
١٣٧- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، طبعة الكويت (د.ت).
١٣٨- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الشهاب، الجزائر، ١٩٨٨م.
١٣٩- نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية، الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٤٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢٠٠٦/٣م.
١٤١- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق: مريم قاسم الطويل ود.يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٥.
١٤٢- النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى الرماني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، معها رسالة الخطابي والجرجاني، دار المعارف ط٤ (د.ت).
١٤٣- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، مصورة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
١٤٤- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، الدكتور محمد حجازي، دار الكتب الحديثة ط١٩٧٠/١.
١٤٥- الوظيفة الترجيحية للسياق عند المفسرين، د.محمد إقبال، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد/٣٥، لسنة ٢٠٠١م.